دراسات اشتراكية

- الدول النامية والتغيرات العالمية
- الرأسمالية وأزمة ٧٤ - ١٩٧٥
- التعاون الدولى فى مجال التنمية
- جزء خاص عن :

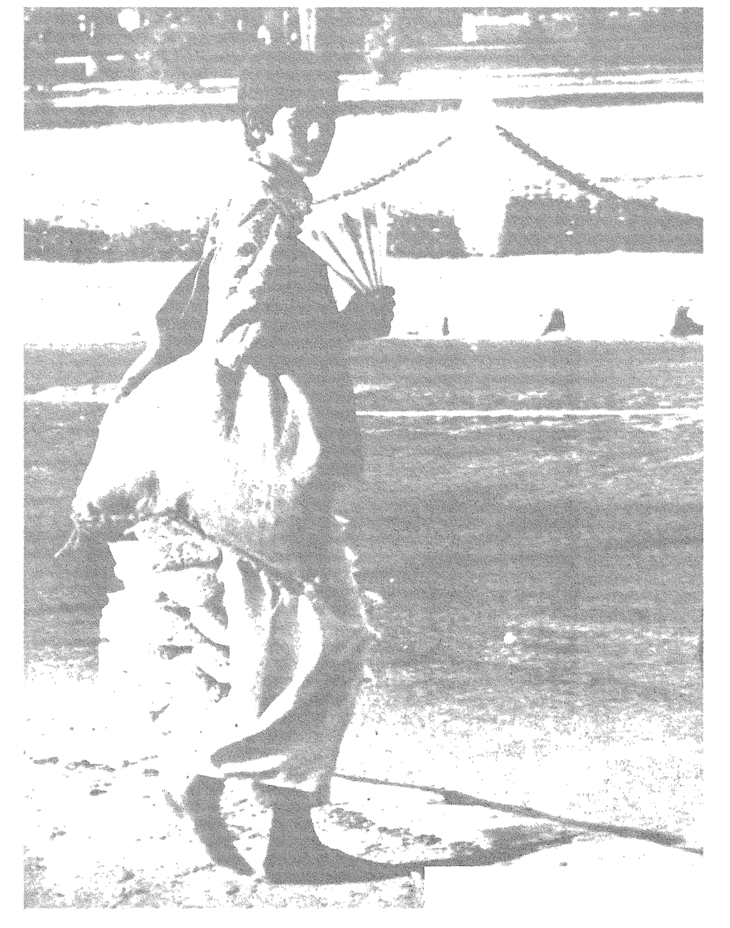
جنوب أفريقيا

السنة السابعة

٤

أبريل ١٩٧٨

SOCIALISM • СОЦИАЛИЗМ • SOCIALISMUS • CHU NGHIA XAHOI • SOZIALISMUS



الهند يتطلعون الى حياة جديدة



دراسات اشتراكية

مجلة شهرية • تصدر عن دار الهلال • السنة السابعة «٤» • أبريل ١٩٧٨

الدول النامية والتغيّرات الدولية

بقلم: بيتر كينمان

هناك أحداث ومنعطفات فى تاريخ العالم تتحول الى معالم بالنسبة لمصير البشرية . وكان الحدث الرئيسى من هذا النوع فى القرن العشرين هو ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، التى استهلت مرحلة لتحرر الانسان القومى والاجتماعى وبدأت انتقالا من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية على نطاق العالم . وكان تشكيل النظام الاشتراكى العالمى ، فى أعقاب الانتصار على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ، أعظم مكسب تالى للبشرية بعد ثورة أكتوبر وقيام أول دولة اشتراكية فى العالم . وكانت نهضة حركة التحرر الوطنى وتقدمها المثير،مما أدى الى انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية ، منعطف آخر فى التطورات العالمية كان صداه ودوره ومكانه فى التاريخ الحديث ذا مغزى عالمى .

وكل هذه التطورات التى حدثت فى عصرنا تؤكد مدى دقة وصواب التنبؤ العلمى لهذه العبقرية العظيمة للثورة ، لينين ، الذى قال منه عام ١٩١٩ : « ٠٠٠ ان الثورة الاشتراكية لن تكون فحسب ، أو فى الاساس ، نضال البروليتاريين الثورى فى كل بلد ضد برجوازيتهم ـ كلا ، فسوف تكون نضال كافة المستعمرات والبلدان التى تضطهدها الامبريالية والتابعة ، ضد الامبريالية الدولية » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٥٩) ٠ وفى ذلك الوقت كان ٧٢٪ من سكان العالم ، وحوالى ٦٩٪ من أراضيه يدخل فى منطقة المستعمرات وأشباه المستعمرات ٠ بيد أن لينين كانت لديه ثقة لا تحد فى القدرات الخلاقة والامكانات الثورية للجماهير العاملة فى البلدانالمستعمرة ، فى «دورها الثورى الكبير فى الاطوار التالية للثورة العالمية » (المجلد ٣٢ ، ص ٤٨٢) ٠ وقد أكد أنه فى الحقبة الامبريالية ، تحولت المسألة القومية الاستعمارية الى « ظاهرة عالمية » ، وأصبحت مسألة مصير مناطق وبلدان تسكنها أعداد ضخمة من السكان ، ولذلك فان التأثير الذى يمكن أن تمارسه تلك الاعداد الضخمة من السكان على التطورات العالمية سيكون قويا للغاية ٠ ووجه هذا التحليل العلمى ضربة قوية للمفهومات السائدة التى كان محورها أوربا ، والتى ركزت الاهتمام فى الاساس على المشاكل القومية التى لم تحل فى أوربا ٠

ويرجع الفضل العظيم الى لينين كذلك فى أنه تلمس الطابع الحديث تماما لحركة التحرر الوطنى والدور الهام الذى قد تلعبه الطبقات والفئات الاجتماعية الجديدة فى هذه الحركة ، وأعطى أهمية خاصة للنشاط الثورى للبروليتاريا الشابة وللحاجة الى تحالفها مع الفلاحين والطبقات والفئات الاجتماعية الاخرى ، بما في ذلك الاقسام الوطنية من البرجوازية القومية ، فى النضال من أجل هزيمة العدو المشترك ـ الامبريالية وأذنابها المحليين ٠ وكشف هذا الفهم الطبقى بوضوح المحتوى المعادى للامبريالية لحركة التحرر الوطنى ، وامكانية وضرورة تفاعلها مع قوى الاشتراكية ، وصلاتها العضوية بعملية الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق عالمى ٠ كما ساعد الثوريين كذلك على فهم التناقضات التى قد تتطور بين الطبقات المختلفة المشتركة فى النضال القومى ، التناقضات التى تؤدى فى الوقت الحاضر الى تباين متزايد بين الاجنحة الثورية القومية والاصلاحية البرجوازية فى حركة التحرر ٠

وقوى التحرر القومى المعاصرة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ليست مدينة للينين ولحزب البلاشفة العظيم الذى أسسه وقاده ، فقط فى مجال النظرية والاستراتيجية والتكتيكات ٠ فقد خلقت ثورة أكتوبر الظافرة وظهور وتعزيز أول دولة اشتراكية فى العالم ، الظروف السياسية والمادية لنهضة عارمة فى حركة التحرر الوطنى ، ولتطورها الى مستويات نوعية جديدة ٠

ان انتصار وتعزيز الثورة الاشتراكية فى روسيا أدى الى أزمة النظام الاستعمارى للامبريالية ٠ لقد وضع حدا للسيطرة المطلقة للامبريالية فىالعالم ، هذا العامل الذى كان حتى ذلك الوقت سببا فى فشل الحركات والهبات المعادية

للامبريالية فى المناطق الشاسعة فى آسيا وأفريقيا • ان انهيار الامبراطورية القيصرية ، وتحرر شعوبها المضطهدة ، وتطورها الحر والمتساوى مع الشعب الروسى وبمساعدته ـ كل هذه العوامل وغيرها صقلت النضالات المعادية للامبريالية للشعوب المضطهدة فى عديد من البلدان • وهذه الشعوب التى شلها لسنوات الاستغلال الامبريالى والركود الاجتماعى ، ازداد نشاطها فى تقرير مصيرها • وتحت تأثير ثورة أكتوبر نجحت الثورة الشعبية فى منغوليا ، وكسبت أفغانستان استقلالها القومى وتدعمت سيادة تركيا ، وأضعفت لدرجة كبيرة مواقع الامبريالية فى الصين • وتصاعد النضال التحريرى القومى فى الهند ومصر والعراق وسوريا والهند الصينية وكوريا وأندونيسيا وايران وبلدان أخرى عديدة • وفيما بين الحربين العالميتين كان الاتحاد السوفييتى هو الدولة الوحيدة التى تؤيد نضال الشعوب المستعمرة من أجل الاستقلال القومى • وكان هذا الدعم السياسى والمعنوى مصدر قوة كبيرة لنمو حركات التحرر القومى •

ودفع الانتصار على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ، الذى ساهم فيه الاتحاد السوفييتى بأكبر نصيب حاسم ، بهذه العملية نحو الامام • فقد تحررت شعوب البلدان التى احتلتها ألمانيا واليابان وايطاليا ، وأضعفت الامبريالية العالمية بشكل عام • وساعد عجز الدول الاستعمارية فى بريطانيا وفرنسا وهولندا وغيرها عن حماية الشعوب التى تحكمها فى آسيا ضد هجمات العسكرية اليابانية كذلك فى تعميق ونشر الوعى المعادى للامبريالية فى هذه القارة ، وعزز القوى الوطنية التى نظمت حركة مقاومة قوية للامبريالية اليابانية • وخلال هذه الفترة نمت هيبة ونفوذ الاحزاب الشيوعية بسرعة فى آسيا •

وكشفت الحركات الثورية التى يقودها الشيوعيون فى الصين وفيتنام وكوريا عن قدرتها على وضع حد للظروف الاستعمارية وشبه الاستعمارية فى بلدانها ، والسير فى طريق التقدم الاجتماعى • وفى بلدان أخرى مثل الهند واندونيسيا وبورما وسرى لانكا ، كانت حركة النضال من أجل الاستقلال القومى تتصاعد ، رغم أن قيادة القوى الوطنية ، كانت فى الاساس ، فى أيدى البرجوازية القومية •

وخلال العقد الاول بعد الحرب العالمية الثانية ، تمكنت عديد من البلدان فى آسيا ، بشكل أو آخر ، من الفوز باستقلالها السياسى • ومكنها ذلك من النضال من أجل الديموقراطية ، والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى • وشهد العقدان الثانى والثالث فيما بعد الحرب امتداد حركة التحرر الوطنى للقارة الافريقية الواسعة • وتلقت الحركة فى أمريكا اللاتينية والكاريبى دفعة قوية بانتصار الثورة الكوبية • وكل ذلك عزز بقوة الجبهة العالمية المعادية للامبريالية والاستعمار •

ووضعت انتصارات شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية أساسا لتطورات

جديدة فى العالم · ان التجربة المريرة للسيطرة الاستعمارية التى عانت منها شعوب الدول الجديدة أثرت بشكل عميق على مســـار سياستها الخارجية وأعطتها طابعا معاديا للامبريالية ملحوظا ·

وحتى فى الفترة الاولى حينما كانت كل القارة الافريقية تقريبا تحت الحكم الاجنبى ، وكانت المناطق المستعمرة ماتزال موجودة فى آسيا ، ولذلك أعطيت الاولوية للاهداف المعادية للاستعمار فى حركة التحرر الوطنى العالمية ، كانت الخبرة المحدودة التى اكتسبتها الدول الفنية من التطور المستقل تؤدى بها الى استنتاجات ذات أهمية جوهرية فى النضال من أجل اعادة تشـــكيل العلاقات الدولية فيما بعد · وفى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ أعلن قادة هــذه البلدان الحاجة الماسة ، أولا ، للانخراط فى النضال من أجل المحافظة على الســـلام وتنظيم العلاقات الدولية على أساس مبادىء التعايش السلمى ، وثانيا ، تنظيم التعاون الاقتصادى بين البلدان الافروأسيوية واتخاذ تدابير جماعية لاشاعة استقرار الاسعار العالمية للمواد الخام والمسائل المماثلة ·

ويمكن القول بأن مؤتمر باندونج قد عجل النضال المتسع للبلدان النامية على الجبهة الاقتصادية الدولية ، ذلك النضال الذى امتد على وجه الخصــوص فى السبعينات · وكان ادراك الحاجة الى العمل المشترك فى المجال الدولى ، بما فى ذلك المجال الاقتصادى ، وهو ماتطور فى العقد الاول لما بعد الحرب ونما مع قيام حركة عدم الانحياز ، كان عاملا هاما للغاية للتوســع السريع اللاحق لجبهة البلدان النامية المعارضة للسياسات الامبريالية وللتمييز ضـــد الدول الجديدة فى التجارة الدولية والسياسة النقدية ، وللاساليب الاســـتعمارية الجديدة · ومع النهاية الفعلية للاستعمار فى افريقيا ، تنشط الان على هــذه الجبهة عشرات الدول الافريقية الجديدة · ويمكن رؤية تأثير أفكار التحــرر والمساواة الاقتصــادية ، والدليل على الجاذبية التى تتمتع بها لدى شـــعوب البلدان النامية ، فى حقيقة أن الانظمة المعتدلة نســـبيا ، بل وحتى المتخلفـة اجتماعيا فى العالم الثالث تربط نفســها بكثير من أوجه النشــاط على هذه الجبهة ·

وخلال العقود الماضية اكتسبت هذه الاقطار محتوى اجتماعيا جديدا · وفى الخمسينات ، كانت فى الاساس جزءا من البرجوازية القومية التى ادعت احتكار تفسير هذه الافكار فى ظروف آسيا ، ورأت فى الاستقلال الاقتصادى تطورا رأسماليا مستقلا ، أقامته كالبديل المناسب للاستعمار والتبعية · وأخفته أحيانا تحت شعارات اشتراكية · ومع ذلك فلم تسترح الامبريالية حتى لذلك · وقد أبدت ، وخاصة فى العقد الاول لما بعد الحرب ، رفضا عنيدا لمساعدة أى تنمية صناعية داخل اطار القطاع العام ، مثلا ، ودخلت فى تحالفات مع أكثر القوى الاجتماعية محافظة والكومبرادور ·

وبدأ الوضع يتغير فى الاســـاس حينما بدأ الامبرياليون يتخذون تدابير

اقتصادية وسياسية وايديولوجية محددة تهدف الىمواصلة استقلالمستعمرانهم السابقة بوسائل جـديدة . لقد برهن الزعماء البورجوازيون لحركة التحرر القومى ، كما برهنت سياستهم القائمه على التطور الرأسمالى ، أنهم ليسوا فى مستوى مهام مقاومة الهجوم المضاد للاستعمار الجديد • وفى نفس الوقت ، كانت الاتجاهات المعادية للرأسمالية تنمو بين الجماهير الشعبية العريضة فى البلدان الاسيوية الافريقية ، التى كانت تسعى الى طريق بديل للتطور • ومما له أهميـة كبيرة فى هـذا الخصوص تجربة الاتحـاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، حيث يوجد تطور لايعرف الازمات ، وحيث قضى نهائيا منذ فترة طويلة على المساوىء الاجتماعية مثل الأمية والبطالة ، وحيث يرتفـع عاما بعد عام المستوى المعيشى والثقافى للشعب •

وكل ذلك أدى ، على وجه الخصوص فى العقد والنصف الماضى ، الى نشأة تيارات جديدة راديكالية فى حركة التحرر الوطنى ، تعبر عن نفسـها بطرق عديدة • وكانت احدى أهم التطورات هى المطالبة بأن تكون للبلدان النـامية سيطرة كاملة على مواردها الطبيعية ، وأن يعاد بناء العـلاقات الاقتصـادية والتجارية بين البلدان النامية والبلدان الرأسمالية المتطـورة بشـكل جذرى بشكل يضع حدا لكافة أشكال التمييز وانعدام المساواة • كما وجدت تعبيرا عنها كذلك فى طرق معينة لاحداث تغييرات جذرية فى حركة التحرر القومى ، وامتدت أحيانا حتى لانظمة بعيدة عن أن تكونأنظمة تقدمية • وهكذا استخدمت البلدان العربية المنتجة للنفط ، والتى لها تأثير حاسم داخل أوبك ، نفطها فى مرحلة معينة كسلاح سياسى لمعارضة الدول الامبريالية •

ولدرجة بعيدة كان أوضح دليل على الاتجاه نحو اشاعة الراديكالية فى عملية التحرر فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية هو تزايد عدد البلدان التى ترفض الطريق الرأسمالى للتطور والتى تقبل طريقا ذا منحى اشتراكى بدلا منه •• وهذا التطور لوحظ على وجه الخصوص فى أفريقيا حيث قبلت مجموعة كبيرة من البلدان المسار الاشتراكى • وتلعب هـذه المجموعة من البلدان الان دورا طليعيا فى حركة التحرر القومى • وهى تناضل بثبات من أجل تدعيم الاستقلال السياسى وتحقيق الاستقلال الاقتصادى ، وضـد كافة الضغوط والمؤامرات الامبريالية • وعلى أساس تحالف كافة القوى الشـعبية ، وبخاصـة العمال والفلاحين ، تسعى الى تحديث اقتصادياتها والحد من الاشكال المختلفة لعلاقات الاستغلال • وهى تتمسك فى سياستها الخارجية بمواقف حاسمة معـادية للامبريالية ، مؤثرة بذلك على وجه الخصوص على حركة عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، الخ • كما تسعى الى تعزيز علاقاتها ، على كافة المستويات ، مع الاسرة الاشتراكية •

وتعكس هذه التطورات التغييرات الهامة التى تحدث فى قيادة حركة التحرر القومى فى الوقت الراهن • فكلما اكتسبت حركة التغيير الاجتماعى الجذرى عزما أكبر من البلدان النامية ، كلما أصبح دور البورجوازية القومية فىالنضال المعادى للامبريالية أقل ثباتا عن ذى قبل ، وأكثر ميلا الى المساومة • وفى بعض

البلدان ، مثل سرى لانكا ، يؤدى صغر السوق الداخلى ، والضعف المالى ، والتخلف التكنولوجى ، وقلة الخبرة ، بالبورجوازية الوطنية النامية ،التى لعبت دورا ايجابيا فى الحركة المعادية للامبريالية منذ وقت مضى ، الى البحث عن أشكال مختلفة للمساومة والتعاون مع الاحتكارات الامبريالية ، وبذلك تعمل ككابحة على استمرار تطور النضال التحريرى القومى • وكنتيجة لذلك كفت البورجوازية الوطنية فى عديد من البلدان النامية اليوم عن الدفاع عن المثل العليا للوطنية ، رغم أن بعض أقسامها ماتزال تعمل من مواقع قومية وديموقراطية عامة . وبينما يكون من الخطأ القول ، بأن البورجوازية الوطنية ، بشكل عام ، فى جميع البلدان النامية قد استنفدت امكاناتها المعادية للامبريالية ، فان قدرتها على قيادة القوى الوطنية تتدهور •

وفى بعض البلدان يتزايد بشكل واضح الدور الذى تلعبه الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية • والشيوعيون هم أكثر المناضلين عزما فى النضال ضد الامبريالية وأكثر المدافعين ثباتا عن المنحى الاشتراكى لبلدانهم • ولديهم خبرة كبيرة فى النضال ، كما أنهم ــ وهذا هو المهم ــ مسلحون بمعرفة علمية بالقوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى • وهم أصدقاء حازمون للاسرة الاشتراكية ، التى تقدم بدورها مساندة دائمة وفعالة لحركة التحرر القومى •

ومع ذلك ، ففى عديد من البلدان النامية ، وبخاصة فى افريقيا ، ماتزال الطبقة العاملة صغيرة نسبيا ، وفى مرحلة تشكيلها المبكرة ، بينما الاحزاب الماركسية اللينينية اما لم تظهر بعدواما محدودة فى نشاطها السياسى وتأثيرها الايديولوجى • وفى هذه البلدان تعتمد اشاعة الراديكالية فى حركة التحرر القومى فى هذه المرحلة على وصول الزعماء والاحزاب الديموقراطية الثورية الى السلطة • ان ظهور مثل هذه القوى الاجتماعية فى مراكز القيادة هو نتيجة للدور الثورى الهام للفلاحين وللجماهير شبه البروليتارية والبورجوازية الصغيرة فى المدن ، التى غالبا مايقودها المثقفون الوطنيون ذوى العقلية التقدمية •

ومنذ بداية هذا القرن لفت لينين الانتباه الى الطرق الهامة التى يمكن بموجبها أن تحدد المواقع التى تحتلها البرجوازية الصغيرة نتيجة العملية الثورية • وعلم الشيوعيون ، أنه بينما يظلون مخلصين للاشتراكية العلمية وينظمون أنفسهم فى « حزب طبقى مستقل بكل ما فى الكلمة من معنى » (المجلد ١٠ ، ص ٤١١) فان عليهم أن يميزوا بوضوح بين القادة والاحزاب الثورية وبين القادة والاحزاب البرجوازية الصغيرة الانتهازية ، ويسعون الى التأثير على الاخيرين ، والوحدة معهم فى عمل مشترك • وفى عام ١٩٠٦ أعلن لينين : « اليوم لايوجد ماهو أهم للثورة من هذا التنظيم والتعليم والتدريب للديموقراطيين البرجوازيين الثوريين » (المجلد ١٠ ، ص ٤١٣) • ورغم أن هذه الكلمات كانت تنطبق على الظروف التى وجدت فى روسيا فى ذلك الوقت فانها تعتبر وثيقة الصلة لدرجة كبيرة بالديموقراطيين الثوريين البرجوازيين الصغار فى عدد من البلدان النامية اليوم •

ان عديدا من الاحزاب الديموقراطية الثورية وزعمائها اليوم يتبنون مطالب وبرامج تتشابه لحد كبير مع مايتوصل اليه الشيوعيون حول حركة التحرر القومى • وينطبق ذلك ، على وجه الخصوص ، على النضال من أجل الاستقلال الاقتصادى ، الذى يرى فيه الديموقراطيون الثوريون طريقا لتغييرات بعيدة المدى ، بما فى ذلك تغييرات فى العلاقات الاقتصادية مع البلدان الرأسمالية • وفى أواخر الستينات وأوائل السبعينات دافعت الدول العربية التقدمية ذات المنحى الاشتراكى عن أمثال تلك المواقف فى المجال الدولى وأعطت لها محتوى حقيقى • وخلال العقد الحالى ، انضمت اليها عديد من الدول الافريقية التقدمية • ومواقف الديموقراطيين الثوريين فيما يتعلق بالتطور الاقتصادى الاجتماعى لبلدانهم تتحدد بوضوح أكبر كما تبرز بدرجة أكبر آراؤهم الايديولوجية • وهذه العملية ليست بالطبع عملية مباشرة لها نفس الحظ من النجاح فى البلدان المختلفة •

وعدد ليس بالقليل من الزعماء الديموقراطيين الثوريين البارزين فى آسيا وافريقيا ، استطاعوا ، لانهم وطنيون حقا ، أن يكتسبوا بصيرة أعمق فى الحقائق الموضوعية للحقبة الحاضرة ، وأن يدركوا أهمية الاشتراكية العلمية كعامل فى التحولات الاجتماعية ، وأن يختاروا حلفاء يعتد بهم فى المعترك الدولى ـ الطبقة العاملة الدولية ، وابداعها ، النظام الاشتراكى العالمى • وقد قادتهم الخبرة المكتسبة على أرض معارك النضال التحريرى الى استنتاج أن التقدم الاجتماعى يمكن تطويره فحسب بما يتفق والماركسية اللينينية • وتمثل انجولا وموزمبيق واثيوبيا وجمهورية الكونغو الشعبية حالات أمام أعيننا •

وكان تحقيق الانتماء الى معسكر النضال الثورى على نطاق العالم ، الذى يقف فى مقدمته النظام الاشتراكى العالمى ، معلما فى تشكيل النظرة العالمية التقدمية للديموقراطية الثورية • والدول الاسيوية والافريقية الفتية ، التى اختارت شعوبها منحى اشتراكيا ، تفضل الان تحالفا استراتيجيا مع الاسرة الاشتراكية • ويشوه الدعاة البرجوازيون هذا التطور ، زاعمين بأن الديمقراطيين الثوريين وقوى التحرر الوطنى عادة ، باقامتها لصلات وثيقة مع العالم الاشتراكى ، سوف تخسر طابعها المستقل « المتميز » وتجد نفسها فى « فلك موسكو والشيوعية الدولية » • وحتى الحكومات التى تقودها البرجوازية الوطنية والتى دخلت فى معاهدات صداقة ومساعدة متبادلة مع الاتحاد السوفييتى لاتسلم من مثل تلك الهجمات •

ومع ذلك ، فان تطور التعاون مع العالم الاشتراكى ، كحقيقة ، بدلا من أن يحد من سيادة البلدان النامية ، انما هو شىء لا غنى عنه للممارسة الكاملة للحقوق التى تتضمنها السيادة ـ وأولها ، حق اختيار طريق التطور الاجتماعى • فلا يمكن تصور التقدم الاقتصادى والاجتماعى الشامل دون حل سلسلة كاملة من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والايديولوجية • وعلى سبيل المثال ، المشاكل المتعلقة باجتثاث البنى الاجتماعية القديمة ، وتحرير القوى المنتجة ، ومشكلة الثورة الثقافية ، وتدريب الكوادر القومية ، وتشكيل

مفهومات وتوجهات أيديولوجية جديدة ، واعادة بناء العلاقات الاقتصادية العالمية القائمة » • وعن طريق تسهيل امكانية مشاركة الجماهير الى الابعاد التاريخية الجديدة في حل هذه المشـــاكل من ناحية ، والتحـالف الحـازم مع الاسرة الاشتراكية ومع كل القوى التقدمية الاخرى ، من ناحية أخرى ، يمكن للدولة الجديدة أن تكون فحسب في مستوى المهام التى تواجهها •

لقد تمت البرهنة نظريا وعمليا على أن التحرر الحقيقي لبلد نامي لايتوقف فحسب على الوحدة الثورية للقوى التقدمية القومية ، وانما يتوقف لدرجة كبيرة على قوة الصلات مع الاتحاد الســـوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وعلى مساندة الطبقة العاملة الدولية وفصـائلها المتفرعة مثل الاحزاب الشـــيوعية والعمالية • ان التعاون والتفاعل المتبادل بين البلدان الاشتراكية والنامية ذو أهمية كبيرة كذلك من وجهــة نظر التطور العام للعـــلاقات الدولية وتعميق الانفراج •

وشعوب البلدان النامية تعرف جيدا ، أن الامبريالية رغم فقدانها لنظامها الاستعمارى ورغم أزمتها العميقة ، لم تتخل عن طبيعتها العدوانية والاستغلالية • ومن الصحيح أنها بعد هزائمها المنكرة في الهند الصينية وانجولا وفى أماكن أخرى ، تبدى حرصا أكبر فيما يتعلق بشن أعمال عدوان عسكرى مباشرة • بيد أنها تواصل مساندة الزمرة الفاشية فى شيلى والانظمة العنصرية فى جنوب افريقيا ، والمحافظة على الاحلاف والقواعد العســكرية العدوانية وتوسيعها ، والعمل من أجل « اشاعة عدم الاستقرار » فى الانظمة التقدمية وأشكال أخرى من التخريب السياسى ، والضـغط على البلدان النامية عن طريق الاســاليب الاستعمارية الجديدة المختلفة مثل التلاعب فى الاســعار الدولية وأســعار الصرف ، ونشاط الاحتكارات فوق القومية ، والوكالات المالية والنقدية الدولية ، وهكذا • وهى تزرع الشــقاق بين الدول المتحـررة حديثا وحتى تحرض على النزاعات المسلحة فيما بينها •

كل ذلك جعل البلدان النامية تتحرك بنشاط متزايد مطالبة باغلاق القواعد الامبريالية العدوانية ، وباقامة « مناطق سلام » فى المناطق المختلفة من العالم ، ووضع حد للفصل العنصرى وتحرير الشعوب المضطهدة فى جنوب افريقيا ، وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى احتلتها بالقوة وتسوية أزمة الشرق الاوسط بما يضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فى دولته المستقلة ، واعادة توحيد كوريا ، وغيرها من المسائل المماثلة • ان تقدم حركات غير متجانسة اجتماعية لدرجة كبيرة مثل حركة عدم الانحياز بمثل هـــذه المطالب فى اجتماع القمة الذى عقد فى كولومبو عام ١٩٧٦ له مغزى عظيم • وليس من الصعب أن نرى أن هـــذه المطالب تتفق تماما مع النضال من أجل الانفراج •

وبفضل الجهود الدؤوبة للاتحاد الســـوفييتى وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى ، حققت سياسة الانفراج فى السنوات الاخيرة تحسنا سياسيا ملحوظا

فى الوضع الدولى • ولهذا أهمية كبيرة بالنسبة للبلدان النامية ، التى تساند بنشاط مثل هذه التطورات • انها ترى فيها عاملا هاما يدعم الاتجاه نحو التطور المستقل ويشل مؤامرات الامبريالية ، كما ترمى الى وضع حد لسباق التسلح وتحقيق نزع السلاح انها تتفق ومصالحها المباشرة ، ويوفر ذلك ظروفا خارجية مواتية لتدعيم سيادتها الاقتصادية ، السند الرئيسى لاستقلالها الاقتصادى • وهى تعرف كذلك أن خفضا عالميا عاما للنفقات العسكرية قد يتيح فرصا جديدة للمساعدة الاقتصادية للدول الجديدة •

ولهذا السبب فان المبادرات السوفييتية مثل الاقتراح بخفض الميزانيات العسكرية للدول الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن بما يساوى ١٠٪ واستخدام جزء من الاموال التى تتوفر نتيجة لذلك لمساعدة البلدان النامية ، قد قوبل بترحيب حار • ولهذا السبب رحب اجتماع القمة لبلدان عدم الانحياز فى كولومبو بوثيقة هلسنكى الختامية وأيد توسيع الانفراج الى قارات أخرى بالمثل • ولهذا السبب لقى برنامج السلام الذى أقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى وطوره المؤتمر الخامس والعشرون ، ومقترحات الرفيق بريجنيف حول الوقف الفورى لانتاج الأسلحه النووية والوقف المؤقت للتجارب النووية للاغراض السلمية ، مثل هذا الترحيب الحار فى البلدان النامية •

ان شعوب البلدان النامية تدرك جيدا العلاقة الوثيقة القائمة بين منجزاتها الرائعة فى العقود الثلاث الاخيرة وعدم قيام حرب عالمية فى هذه الفترة • وهى تؤيد جعل الانفراج لارجعة فيه ، وتحويله الى ظاهرة عالمية شاملة حقا ، وكفاحها الراهن من أجل وضع حد « للنظام الاقتصادى القديم » الذى أقيم فى العصر الاستعمارى انما تنظر اليه كتعزيز لعملية الانفراج ، لانه طالما بقيت هذه العلاقة التى انقضى زمانها ، فسيكون هناك على الدوام توترات متزايدة بين البلدان النامية والبلدان الرأسمالية المتطورة ، ومن ثم خطر دائم للمواجهات والصدامات •

وباختصار ، فقد أصبحت حركة التحرر القومى الان جبهة موحدة قوية عريضة من الدول ، تصطدم بالامبريالية فى الجبهات الاقتصادية وغيرها • وتحول شعوب ودول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية الى عامل مستقل نامى فى السياسة الدولية يمثل أحد أهم النتائج للنضال التحريرى القومى • وكما تنبأ لينين ، فان ملايين الناس الذين كانوا مادة للتاريخ قد أصبحوا الان صناعا نشطين لتاريخ العالم •

●

الاتجاهات الجديدة في معاداة الشيوعية

بقلم : ازاكياس بابانيو

فى السنوات القليلة الماضية ، طرأت تغيرات هامة فى استراتيجية معاداة الشيوعية • ويرجع سبب هذه التغيرات الى الفشل التام للجهاز الايديولوجى السياسى الذى كان موجها نحو الحرب الباردة ، والى حقيقة أن الرأى العام أصبح أقل تصديقا للتلفيقات الفجة عن الشيوعيين•لقد تعرت الشعارات الدعائية التى ظلت أجهزة الاعلام الجماهيرى البرجوازيةتنشرها لعشرات السنين • ووضعت على الرف العديد من المبادىء والمفهومات النظرية التى شكلت الاطار الايديولوجى للتفكير المعادى للشيوعية لجيل كامل تقريبا من « المتخصصين فى الشيوعية » •

وعندما نحول «تعرت» و «وضعت على الرف» فلا نعنى ان ذلك يدل على نهاية الاشكال البدائية الفظة لمعاداة الشيوعية أو أنها تقادمت بالفعل وأصبحت فى عداد الماضى · واليوم يوجد عديد من المعادين للشيوعيين المتطـرفين والفاشيين المسعورين الذين يدعون الى القمع العنيف والجسدى للحـركة الشيوعية والعمالية · وهذا شيء لا نسمح لانفسنا أبدا بنسيانه · لكننى أود فى هذا المقال أن أعالج بعض السمات والاتجاهات الجديدة فى بناء معـاداة الشيوعية والناجمة عن جهودها كى تلائم نفسها مع حقـائق الصراع الطبقى الراهنة فى المعترك الدولى وفى بلدان مفردة ، وعلى الاخص قبرص ·

وحتى اليوم لا تزال دعاية معاداة الشيوعية يجرى تصعيدها ، وفى الاساس من خلال معاداة السوفييت · والعنصر الجديد هنا هو أن معاداة السـوفييت تستخدم بشكل متزايد كوسيلة تهـدف لا الى التـأثير على موقف الاتحـاد السوفييتى (رغم أن البرجوازية لم تتخل أبدا عن مثـل تلك الاوهام) قدر ما تهدف الى التأثير على موقف الشيوعية والمنظمات السياسية الديمقراطيـة الاخرى فى العالم غير الاشتراكى من موقف الاتحاد السـوفييتى · وما تزال الدعاية البرجوازية ، بالطبع ، تحاول اثارة مشاعر الاغتراب عن ، ثم مشاعر الكراهية والعداوة تجاه الاتحاد السوفييتى بين الاقسام المختلفة من السكان، لكنها لم تعد تكتفى بترويج أفكار الناس غير الناضجين سياسيا ، وتحـاول اختراع ترسانة خاصة من الاساليب لممارسة تأثيرها على الدوائر التقدمية كذلك · وبالاضافة الى ذلك ، تتظاهر الدعاية البرجوازية بان حملاتها المعادية للسوفييت ليست موجهة ضد الاشتراكية فى حد ذاتها ، وانما موجهـة فقط ضد « تطرفاتها » و « أوجه النقص فيها » ، وهى لا تنطبق بأى حال على هؤلاء الذين يسـون الى « تحسين » الاشتراكية ·

ونحن مقتنعون اقتناعا عميقا بأن معاداة السوفييت تعتبر هجوما أماميا على الاهداف والمصالح العامة للحركة الشيوعية فى مجموعها · واستنتاجنا انمـا يرتكز على النقاط التالية :

أولا : هناك صلة واضحة بين محاولات تشويه سمعة الاشـتراكية كنظام قائم والحث على تعرية الحافز الرئيسى والموجه الذى يكمن خلف نشـاط الشيوعيين فى أى بلد ، ألا وهو اقتناعهم العميق بأن الافكار الاشـتراكية صحيحة ، وتتلخص مكيدة الدعاية البرجوازية فى محاولتها تلطيخ سـمعة الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، وابعاد الجماهير عن الايديولوجيـة الاشتراكية ودفع العمليات التى تؤدى الى القضاء التام على المحتـوى الطبقى البروليتارى المعادى للرأسمالية لاهداف وسياسات الاحزاب الشيوعية ·

ثانيا : تأمل الدوائر الامبريالية الرجعية ، عن طريق هجماتها ضد الاتحاد السوفييتى ، فى كبح التغيرات الايجابية فى المجال الدولى وتقويض الانفراج ، الذى يعتبر القضية المشتركة للشيوعيين ولكافة القوى الديمقراطية والسلامية

الاخرى • وتحاول الدعاية البرجوازية طمس الحقيقة الماثلة فى أن النضال من أجل السلام لا تتفق مع العداء للاتحاد السوفييتى ، الحامى الرئيسى للسلام •

ثالثا : تستهدف معاداة السوفييت تقويض موقف الشيوعيين الاممى ، الذى ينبع من حقائق الحقبة الحديثة ومسئوليتهم عن مصائر الطبقـــة العـــاملة وشعوبهم فى مجموعها • وهى تعبر عن حث على انكار مغزى المســاندة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى لكافة الشعوب فى نضالها المعادى للامبرياليـــة ، وهكذا تغرى الشيوعيين بعزل أنفسهم عن القوة الجبارة للتقدم الاجتماعى •

وفى ضوء ذلك ، فاننا مقتنعون بأنه ينبغى علينا أن نشـــدد من جهودنا لفضح معاداة الشيوعية ، وان نقوم بذلك ليس فقط بشكل دفاعى ، وانمـــا أيضا بأن نتخطاه الى هجوم أيديولوجى أكثر نشاطا • والدعاية المعـــادية للشيوعية تشوه الواقع عن قصد ، وتخفى وتطمس منجزات الاشـــتراكية • وهى تتصيد وتبالغ فى المشاكل التى تحدث فى مجرى بناء المجتمع الجديد ، والتى لم تخفها أبدا الاحزاب الحاكمة فى البلدان الاشتراكية ، فى حينها ، فى جهودها المنتظمة لحلها • ولهذا السبب فان نشر الحقيقة عن الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى هو أسلوب فعال لمقـــاومة الدعاية المعـــادية للسوفييت والمعادية للشيوعية • وهذا شىء لا يمكن بدونه فهم حقائق العالم المعاصر • ونحن نعرف من خبرتنا الخاصة أنه كلما زادت الفرصـــة أمام الجماهير العاملة لوضع يدها على معلومات موضوعية عن البلدان الاشتراكية ، وكلما أمكنهم المقارنة بين الاوضـــاع الفعلية القائمة فى ظل الرأســمالية والاشتراكية بسهولة أكبر ، كلما أصبحت الارض أكثر خصوبة لجهودنا فى نشر الافكار الاشتراكية •

واذا ما أخذنا الوضع فى بلادنا على ما هو عليه ، نجد أنه من المهم للغـــاية فضح التلفيقات المعاديه للشيوعية التى تقول أن مساندة وتضامن الاتحـــاد السوفييتى مع شعب قبرص ، الذى يناضل من أجل حريته هما من « اختراع أكيل » • فمن خلال الصحافة الحزبية ، والاجتماعات الجماهيرية والمناقشات نشرح موقف الاتحاد السوفييتى من المسألة القبرصية ، ونحيط الشعب علما بالحقائق لمواجهة مثل هذه الاكاذيب • ونحن متأكدون بأن النضال التحريرى الدؤوب والموحد لشعب قبرص مع المساندة والتضامن المتعاظم من جانب الاتحاد السوفييتى ، الدولة الصديقة الكبرى ، ومن جانب كافة البلدان الاشتراكية الاخرى وغير المنحازة ، سينتهى بالنجاح التام •

وأحد الخطوط الهامة الاخرى للنضال ضد العداء للســـوفييت يتمثل فى فضح محاولاته لتشويه الوضع القائم فى الحركة الشيوعية • والان وقـد بين العديد من الاحزاب الشيوعية أنه قوة قومية هامة ، فان التكنيـــك القديم لاضطهاد الشيوعيين وتقـــويض مواقفهم بوصمهم بأنهم شركاء فى « مؤامرة عالمية توجهها أصابع موسكو » لم يعد ينطلى على أحد • ومع ذلك ، اتخـــذت

الدعاية البرجوازية سبيلا آخر فى سعيها لاستقلال هذه الاسطورة باثارتها مشكلة زائفة مصطنعة تماما ، وهى « تحرير » الاحزاب من « قبضة موسكو الحديدية » ومن « الحنين الباطنى للكومنترن » . وقد صنفت الصحافة البرجوازية بشكل استفزازى الاحزاب الشيوعية الى أحزاب « مستقلة » و « تابعة » فى محاولة لبذر بذور الشقاق بينها . ودعت الى أن « الموقف الانتقادى » من الحزب الشيوعى السوفييتى هو معيار استقلاليتها . ويهدف ذلك الى منع الاحزاب الشيوعيه من اتخاذ دور نشط فى النضال المشترك ضد الامبريالية ، ومن التقدم بأهداف مشتركة ومن بناء تضامنها المشترك .

وانه لأمر معروف تماما أنه لا يوجد فى حركتنا أحزاب قائدة أو مقودة ، أى تابعة . وحتى الملفقين البرجوازيين عجزوا عن اكتشاف كلمة واحدة فى وثائق الحزب الشيوعى السوفييتى تدعى بأى شكل من الاشكال « قيادة » الاحزاب الاخرى . وعلى العكس تؤكد وثائق الحزب الشيوعى السوفييتى بوضوح وجلاء أنها ضد أية هيمنة فى الحركة الشيوعية ، وأنها مع العلاقات الاممية المتساوية حقا بين كافة الاحزاب . (أنظر التقرير المقدم الى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى) .

وليس هناك أدنى اشارة الى « التبعية » فى وثائق الاحزاب الشقيقة الاخرى. ولذلك ، فانه مما لا يثير الدهشة أن تلجأ البرجوازية الى الالاعيب . والالعوبة الاساسية تتمثل فى تشويه معنى الاممية البروليتارية (التى تتضمن حسب ما يزعمون « مزايا لجانب واحد » و « انكار » للديمقراطية فى العلاقات بين الاحزاب ، و « اهمال » للاستقلال ، و « قمع » للعمل الدؤوب ، و « تبعية للمركز » وهكذا) فى محاولة لغرس فكرة غير عقلانية تؤدى الى نشاة موافف عقلية واستجابات سلبية . وتتلخص الفكرة فى اثارة كراهية عاطفية للاممية البروليتارية ، ونزعة غير واعية تؤدى الى نوع من المناعة ضد حجج العقل والعلم والتجربة . وبالصدفة ، فقد استخدمت الدعاية المعادية للشيوعية أساليب مماثلة لغسيل المخ فى مسائل أخرى ، حيث كشفت كذلك عن عجزها عن اقتراح برنامج ايجابى لمواجهة الإشتراكية العلمية .

وفى الوقت الذى يتحدث فيه السياسيون والامبرياليون البرجوازيون عن الاستقلال يتعامون بالطبع عن حقيقة أن الأحزاب الشيوعية مستقلة ، ذات سيادة ، ومتساوية . وعلى عكس تأكيدات الدعاية البرجوازية ، فتلك هى القواعد المقبولة بشكل عام للعلاقات بين الأحزاب داخل الحركة الشيوعية ، والالتزام بهذه القواعد يعتبر أساسا هاما لتقدمها المستمر ، ومسألة استقلال الأحزاب ليست هدفا جديدا للمضاربة المعادية للسوفييت والمعادية للشيوعية ، والتى قدمت لها الأوهام القومية على الدوام أرضا خصبة .ومع ذلك ، فقد استخدمت فى الماضى ، وفى بلادنا على وجه الخصوص ، فى الاساس لفصل الحزب الشيوعى عن الجماهير . وادعى اعداؤنا ان الحزب الشيوعى حزب غير قومى ومعاد للقومية ، وأنه يضع المصالح ((الأجنبية))

فوق المصلحة القومية . ونحن نجد الان لهجة مختلفة الى حد ما . اذ تستخدم الاوهام القومية من جانب المعادين للشيوعية كوسيلة لعزل الاحزاب الشيوعية فى المجال الدولى ، فالشيوعية كما يدعى أعداؤنا ، تصبح أكثر قومية ومعادية للأممية بصورة متزايدة .

وهكذا كان على أعداء الشيوعية أن يتبنوا تكتيكات أكثر دهاء فى كفاحهم ضد الحركة الشيوعية . ولقد كانت استجابة البرجوازية الامبريالية لتزايد نفوذ الحركة الشيوعية فى العالم المعاصر هى ، أولا محاولة تحطيم وتقويض الحركة الشيوعية كقوة دولية ، وثانيا ، اضعاف والقضاء على دور الاحزاب الشيوعية باعتبارها القوة الدافعة فى التطور القومى . بيد أن تعرية وحدة وتضامن الشيوعيين الدولى لا يعتبر غاية فى حد ذاته وانما مجرد وسيلة لتغيير الوضع الدولى غير المواتى بالنسبة للامبريالية ، وكذلك لعزل الاحزاب الشيوعية لاقتلاعها من تربتها القومية أو دفعها الى التحول .

ويحاول أعداء الشيوعية كذلك توفير أساس سياسى جغرافى لتكتيكاتهم . وهم يدعون أن أهداف الاحزاب الشيوعية « لا يمكن أن تتوافق » لأنها تنتمى الى مناطق جغرافية مختلفة . وتوضع شيوعية « الشرق » فى مقابل شيوعية « الغرب »،وشيوعية « الجنوب » مقابل شيوعية (الشمال) . وينكر أعداء الشيوعية وحدة العملية الثورية العالمية وقوانينها العامة ، التى تحدد تقدم البشرية وانتقالها الى السلام الدائم والاشتراكية . وهذه النظرة الجغرافية السياسية للحركة الشيوعية تجد تعبيرها على وجه الخصوص فى مفهوم « الشيوعية الاوربية » الذى تروجه الدعاية البرجوازية . وأحد الأسباب لاهتمامنا بشكل خاص بهذه المسألة يكمن فى أن الايكونومست اللندنية قد وصفت حزبنا — فى مقابل « الشيوعيين الاوربيين » و« المعادين للشيوعيين الاوربيين » بأنه حزب « غير ملتزم » و « غير مبال » .

ان الدعاية البرجوازية ، وقد اخترعت اصطلاح « الشيوعية الاوربية » ، لا تستخدمه كمجرد تعبير ملطف غير جارح ، أو ببساطة أكثر ، كاصطلاح يدل على الموقف المتماثل الذى اتخذته بعض الأحزاب فى منطقتنا من بعض المشاكل . ففى الحركة الشيوعية ، كما نعرف ، توجد آراء مختلفة حول هذه المسألة وهى مطروحة للنقاش . بيد أن البرجوازية ، فى سعيها الى تقسيم صفوف الشيوعية الى أجزاء عديدة على أساس المبدأ الجغرافى السياسى ، تعطى للاصلاح ميلا منحرفا معاديا للشيوعية وتستخدمه للضغط على حركتنا وكطريقة لمحاربة الأحزاب الشيوعية .

فلماذا تحتاج البرجوازية لمفهوم « الشيوعية الاوربية » ؟ ما هى المكاسب التى تتوقعها من ذلك ؟ ان تعليقات الصحافة البرجوازية تدعو الى الاستنتاج بأن غرض الضجة الدعائية حول هذا المفهوم هو اثارة عدم الثقة والاحساس

بالفرية بين الأحزاب الشيوعية مما ينتهى الى المواجهة وقطع العلاقات .
واليكم مثالا على ذلك .

فالصحافة البرجوازية تناقش منذ فترة « التحدى المزدوج للشيوعية الأوروبية » وقد ناقشت باستفاضة أن « الشيوعية الأوربية » تطرح مشكلة اكبر امام «الشرق » عن «الغرب» ويروج اعداء الشيوعية الفكرة غير المعقولة القائلة بأن الطريق الخاص للاشتراكية الذى يتخذه بلد ما يعرض القضية الشيوعية للخطر فى البلدان الاخرى . وهم يعتبرون النضال من أجل الاشتراكية فى البلدان الرأسمالية كالنقيض لتطور البلدان الاشتراكية . وتصور الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة على أنها معارضة للاشتراكية الموجودة فى « الشرق » ، بينما تصور الاحزاب الحاكمة على أنها تعارض اقامة الاشتراكية فى « الغرب » . ولدى المرء انطباع بأن الترويج الذى قامت به الدوائر الامبريالية « للشيوعية الأوربية » تدفعه مخططات استخدام هذا المفهوم كوسيلة لتقويض الاسرة الاشتراكية وأسس الحركة الشيوعية .

والشىء الملفت للنظر أن المعادين للشيوعية يعطون لمفهوم الشيوعية الاوربية محتوى أيديولوجيا وسياسيا لا يعكس بأى حال سمات جغرافية اقليمية . فهم يربطونها بآمال « الاصلاح الاجتماعى » للاحزاب الشيوعية ويحاولون دفعها « للتحرك بعيدا عن اللينينية نحو الديموقراطية الاجتماعية ، سواء فى المنهج أو الاهداف » . والجناح اليمينى للاشتراكية الديموقراطية بدوره يضع فى اعتباره بوضوح الكسب السياسى عن طريق ترويج « الشيوعية الاوربية » التى يفسرونها على أنها « تخلى عن الايمان » بالتطور الثورى فى غرب أوربا و « قبول » النهج الاصلاحى . وهكذا وفقا لمعارضى الشيوعية ، فان ادخال مقطع « الاوربية » يحول الشيوعية الى الاصلاحية . وهذا مايثير اهتمام السياسيين والايديولوجيين الاشتراكيين الديموقراطيين اليمينيين فى موضوع « الشيوعية الاوربية » وذلك هو المنطلق الذى يواصلون منه هجومهم ضد الأحزاب الشيوعية .

ان الاهداف التى تنتهجها البرجوازية فى محاولاتها تشجيع الاصلاحية فى حركة الطبقة العاملة واضحة تماما . لقد كتب لينين يقول : « ان التأثير الاصلاحى بين العمال يكون أقوى كلما كانوا أضعف ، وكلما زادت تبعيتهم للبرجوازية ، وكلما كان من الاسهل على البرجوازية وقف الاصلاحات تحت مختلف الذرائع . وكلما كانت حركة الطبقة العاملة أكثر استقلالا ، كلما كانت أهدافها أعمق وأعرض ، وكلما تحررت من ضيق الأفق الاصلاحى — وكلما سهل على العمال الاحتفاظ بالتحسينات والاستفادة منها » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٩ ، ص ٢٧٣) . بيد أن الاصلاحية قد تعنى كذلك فى بعض الاحوال ، كما أشار لينين « تحطيم التنظيم الماركسى والتخلى عن المهام الديموقراطية للطبقة العاملة .. واستبدالها بسياسة عمالية لبرالية » (نفس المرجع ، ص ٣٧٥) .

وحتى مع ذلك ، فان معارضى الشيوعية يدركون أن هناك فارقا كبيرا بين تفسيرهم لمفهوم « الشيوعية الأوربية » وبين السياسة والايديولوجية الفعلية للاحزاب الشيوعية . ولهذا السبب كان عليهم منذ البداية أن يهاجموا الأسطورة التى خلقوها بأنفسهم . والمعادون للشيوعية بدأوا يفكرون بصورة متزايدة فيما اذا كانوا يضعفون من يقظتهم بخداع انفسهم .

وادانة «الشيوعية الاوربية» كمهزلة وخدعة من جانب دعاتها يكشف ذلك عن شيء أكثر خطورة . انها خدعة تود البرجوازية من خلالها أن تغرى الشيوعيين لتقديم تنازلات سياسية وأيديولوجية تمس مبادئهم الاساسية . ويبدو الامر كما لو كان يطلب منهم أن يثبتوا ان « الشيوعية الاوربية » ، كما يفسرها أعداء الشيوعية ، ليست مهزلة . بيد أن الشيوعيين بالتأكيد لاينبغى عليهم ان يتخلوا عن القوانين الصحيحة عالميا للاشتراكية العلمية أو عن المصالح الاساسية للطبقة العاملة فى بلدانهم أو يدخلون فى معارك مع بعضهم البعض لكى يحققوا مكاسب سياسية . اننا نعتقد ان معارضينا مخطئين اذا ما اعتمدوا على ذلك .

وتميزت معاداة الشيوعية فى أواخر السبعينات بالتأكيد المبالغ فيه على الفردية فى استراتيجية وتكتيكات الحركة الشيوعية النابعة من ادراك الاحزاب الشيوعية للظروف الخاصة التى تعمل فيها قوانين الصراع الطبقى فى البلدان المختلفة . وكما يرى أعداء الشوعية فان « نمو التنوع » فى الحركة الشيوعية لابد وان يؤدى الى نشأة قوى طرد مركزية تقود الى تفككها والى نشأة «شيوعية متعددة المذاهب» . ولا ينسب أعداء الشيوعية لانفسهم مجرد دور المتفرجين . أنهم يتحدثون بصراحة عن الحاجة الى تشجيع العمليات التخريبية عن طريق ممارسة الضغط السياسى والثقافى على الاحزاب الشيوعية ، ويحاولون تحويل الفوارق الى خلافات فى الرأى ، وهم يسعون الى المبالغة فى كل اختلاف بين أحزاب الطبقة العاملة «ويحولونه الى انقسام» كما يقول لينين (المجلد ٤ ، ص ١٧٦) .

وعن طريق اضفاء طابع مطلق على الخلافات بين الطرق المختلفة المؤدية الى الاشتراكية ، وهو الامر الطبيعى تماما والذى يعترف به جميع الماركسيون ، تضع الصحافة البرجوازية البحث عن هذه الطرق مقابل جوهر « الماركسية التقليدية » ، أى ، الاشتراكية العلمية ، التى أسسها ماركس وانجلز ولينين . وأثناء ممارسة كل حزب شيوعى لحقه فى التفكير المستقل والحر وتقرير الطريقة التى يتقدم بها بلده الى الاشتراكية تود الدعاية البرجوازية ان ترى التخلى عن النظرة العلمية العالمية والمنهج العلمى لتحويل الواقع الاجتماعى . أن الحركة الشيوعية ، كما يؤكد أعداء الشيوعية ، فى طريقها لاصلاح نفسها ، ولكن استقلال الاحزاب ، الذى يفسره أعداؤنا على أنه عزل النفس والتخلى عن التضامن المعادى للامبريالية ، ما يزال غير كاف ،

ان ما يريدونه هو اعادة بناءأحزاب لكسر الجمود فى وجدان الانسان السياسى الذى خلقه ، كما يزعمون ، تنظيم الحزب والايديولوجية الشيوعية. وهم يشكون من أن لوثر الجديد الذى يستطيع القيام بذلك لم يظهر بعد على المسرح .

وقد ترجم المراسل الامريكى جيمس ا . جولدزبورو هذه « الفلسفة » الى مصطلحات أكثر براجماتية ، مصرا على أن معارضى الاحزاب الشيوعية قد ركزوا هجماتهم « على المركزية الديموقراطية التى تجسد الافتقار الى الحرية الفردية داخل هيكل الحزب » . وفى دفاعهم عن « اصلاح الحزب » و « حرية الوجدان السياسى » داخل الاحزاب ، يأمل أعداء الشيوعية بوضوح فى توليد عمليات يمكن أن تؤدى الى تعرية الاحزاب من الداخل .

ويبين تحليل الدعاية الحديثة المعادية للشيوعية أنها لا تقتصر على مهمة « تكنيك » الحركة الشيوعية . وفى الحقيقة ، فان نشاطاتها فى هذا الاتجاه هى جزء من أعمال تخريب أبعد مدى ، تتميز فى الاساس بمحاولة تحقيق تغير فى طبيعة الاحزاب الشيوعية ذاتها .

وليس هناك تجاهل لحقيقة أن جوانب فى التكتيكات الحالية للحملة ضد الاحزاب الشيوعية تردد صدى ، اذا جاز القول ، الحملات المعادية للسوفييت فى الستينات . فقد كانت سياسة « الضغط السلمى » على البلدان الاشتراكية تهدف بالتأكيد فى هذه السنوات الى اغرائها بالتحول الى « الليبرالية » أى بالتخلى عن مبادىء الماركسية اللينينية فى النظرية والتطبيق . وهذا الاسلوب يستخدم الآن ضد الأحزاب الشيوعية . فالمعادين للشيوعية يتحدثون عن تعرية « واضفاء طابع ليبرالى » على الاحزاب الشيوعية .

ان تماثل أساليب أعداء الشيوعية فى محاربة الاشتراكية والاحزاب الشيوعية ـ مع تعديلات ملائمة للنهج ـ ليس صدفة . فالمعادون للشيوعية يستخلصون دروسا مناسبة من الصراع الطبقى . وقد أوضحت التجربة التاريخية أنه من المستحيل أضعاف أو تغيير الاشتراكية طالما بقيت الطليعة الشيوعية للجماهير العاملة لم تتغير . ومن ناحية أخرى فان انحطاط الديمقراطية الاجتماعية منذ أكثر من ستين عاما مضت لعب دورا ملحوظا فى انقاذ الرأسمالية فى عدد من البلدان عندما كانت الموجة الثورية العالمية ترتطم بأعمدتها .

واذا ما عممنا اتجاهات الدعاية السالفة الذكر المعادية للشيوعية ، يمكننا القول بأن ما يشغل المعادين للشيوعية أكثر من غيره هو موقف الاحزاب الشيوعية من تعاليم ماركس وانجلز ولينين . وهذا أمر مفهوم ، لان الماركسية اللينينية تعتبر أهم عامل أيديولوجى وسياسى محدد لكل حزب شيوعى حقيقى .

ومن ثم الهجمات المكثفة على الاسس الايديولوجية للحركة الشيوعية • وبالاضافة الى ذلك ، يصبح من الواضح أنها تميل الى التركيز أكثر فأكثر على الاشكال الخاصة التى ترتبط فيها أفكار ماركس وأنجلز ولينين بالطبقة العاملة والحركة المعادية للامبريالية فى مختلف البلدان وبتحقيق الاحزاب للمهام الجديدة • وتحاول الدعاية المعادية للشيوعية الاستفادة من المشاكل التى لم يتم تحليلها بعد بشكل كامل • ولا يمكن أن يكون هناك ما يسمى بالفراغ الايديولوجي • وحيثما لم تتوفر الاجابات على المشاكل الجديدة ، وحيثما لم يتم صياغة نظرية علمية بدقة ، يستطيع معارضوها أن يعيشوا كالطفيليات •

وأعداء الشيوعية اذ يتنبأون بفقدان الاحزاب الشيوعية لاساسها الايديولوجى العام و « بذبول » الاشتراكية العلمية ، يخترعون نوعا من « النظرية » لمساندة مثل هذه المزاعم • ويمكن رؤيتها بشكل جنينى فى تعارض اللينينية ، التى يزعمون أنها « ظاهرة روسية » بحتة ، مع الماركسية • وفى الوقت الذى ينكرون فيه الطابع الدولى للينينية ولتجربة الاتحاد السوفييتى خلال العقود الاولى من وجود الدولة السوفييتية ، لا يقدم أعداء الشيوعية ، مع ذلك ، أية تعميمات فكرية عريضة فيما يتعلق بالحركة الشيوعية فى مجموعها ، التى قدموها كقوة « فوق قومية » • وجاءت الخطوة التالية مع المضاربة على « الشيوعية القومية » ، التى اعتبرت فى الجوهر على أنها رفض الخضوع لقيادة فوق قومية • وفى نفس الوقت حاول أعداء الشيوعية « صياغة نظرية » تقول بأن تلاؤم الايديولوجية الشيوعية مع الظروف المحلية يمكن أن يؤدى الى تعرية أهدافها الاممية والى سيادة الاوهام القومية • وهم يكملون الان صرح « نظريتهم » • ويقول أحد واضعى هذه النظرية ، زجنيو بريززنسكى ، مستشار الرئيس الامريكى ، أن تطبيق الشيوعية فى ظروف خاصة متباين ومتنوع لدرجة أنها ، مثلما حدث لليبرالية القرن التاسع عشر ، تفقد معناها باطراد كمفهوم موحد وعالمى •

ويبرز زيف تلك الحجج بشكل واضح لا لبس فيه • فالشيوعية ، بمقارنتها بليبرالية القرن التاسع عشر ، ليست مجرد أيديولوجية سياسية وانما علم • ولذلك فالرأى القائل بأن التطبيق العملى للنظرية فى ظروف ملموسة — وهذا ما يفعله الشيوعيون — لا يتضمن تطويرها وانما تشويهها لا يحتاج الى مناقشة جادة • وتلك هى النقطة الاولى • وثانيا ، فان خطأ الحجج التى ذكرناها يكمن في أن الارتداد عن الايديولوجية الشيوعية يقدم كقاعدة بينما يجرى تجاهل أية حقائق تشهد على العكس • وهذه الحقائق هى : المجتمع الاشتراكى المتطور فى الاتحاد السوفييتى ، وبناء الاشتراكية المتطورة فى البلدان الاشتراكية ، والنجاحات التى تحققت فى الصراع الطبقى فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، ومكاسب حركة التحرر الوطنى للشعوب ، وتزايد نفوذ الاحزاب الشيوعية فى عديد من البلدان ، وتضامن الشيوعيين فى النضال من أجل الانفراج والسلام ، وضد الامبريالية • والى ذلك يمكن أن يضاف عديد من

المنجزات الاخرى التى تعزز القوة الموحدة والجذابة للافكار الشيوعية العلمية لانها تؤكد صحتها • وثالثا ، فالطبقة العاملة ، كما يقول ماركس وأنجلز ، قومية ، رغم أنها ليست قومية بالمعنى البرجوازى للكلمة (المؤلفات المختارة ، المجلد الاول، ص١٢٤) • ومعنى ماهو قومى فى الحركة الشيوعية يبدو أنه فوق متناول فهم حتى المدافعين النظريين عن المطامح للشيوعية للبرجوازية • ومن ثم الفشل التام لحججهم • وعلى عكس تنبؤاتهم ، فان تطبيق الاشتراكية العلمية على الظروف القومية الخاصة ليس عقبة أمام تطور الوحدة الدولية لحركتنا • والامر على العكس تماما • فالنظرية الماركسية اللينينية ليس لها حيف أصدق من تجربة الاحزاب الخاصة ، من الممارسة الدولية •

وفى جهودهم من أجل مقاومة حركتنا يحاول المعادون للشيوعية الاستفادة من تماثل الظروف فى عدد من البلدان ، مما أدى الى بعض البحث المثيرللاهتمام فى المشاكل الجديدة التى تواجهها هذه البلدان • انهم اذ يحتجون على أيةبوادر للتضامن الدولى بين الشيوعيين وينكرون المغزى الدولى لتجربة الحزب ، يدافعون جميعا عن موقف « موحد » ينكر وجود فوارق فى نشاط الاحزاب نابعة من السمات القومية الخاصة • وبهذه الطريقة يأمل المعادون للشيوعية فى دفع الشيوعيين الى موقع العزلة عن الحركة الشيوعية الدولية •

ان خبراء مقاومة الحركة الشيوعية قد شددوا بشكل خاص فى الفترة الاخيرة على « الاسلوب اللينينى فى التفكير » • وهم يزعمون أنه « يقيد » الشيوعيون عندما يتعلق الامر برسم استراتيجيتهم القومية • فبأى شكل لا يرضى أعداؤنا عن هذا الاسلوب ؟ بشكل واضح لانه حتى على الطريق السلمى نحو الاشتراكية يواصل الشيوعيون مساندة أساليب العمل الثورية ، ويعطون الاولوية للسياسة ، ولمسألة سلطة الدولة ، ويدافعون عن الحاجة الى المضى قدما فى تطوير الحرية والديمقراطية أكثر مما مضت أو تستطيع أن تمضى الديمقراطية البرجوازية ، ويتبعون سياسة التحالفات بين الطبقة العاملة والفئات الوسطى ، ويشكلون جبهات مع الاحزاب السياسية الاخرى لكى يحلوا المشاكل القومية بروح التقدم الاجتماعى ، وهكذا • كما نرى ، يركز المعادون للشيوعية هجومهم على بعض الجوانب الرئيسية للانتقال السلمى الى الاشتراكية التى أثبتها العلم الاجتماعى وأكدها التطبيق ، بينما يحاولون أن يفرضوا على الاحزاب الشيوعية شيئا « عالميا » يجعلهم ينفصلون عن النظرية العلمية وعن الممارسة •

ان حزبنا مخلص لافكار ماركس وأنجلز ولينين • ولهذا السبب استطاع أن يضع استراتيجية وتكتيكات أصيلة لظروف بلادنا • وأكيل يمثل أكبر القوى السياسية نفوذا فى قبرص • وقد فاز فى انتخابات ١٩٧٠ بأكثر من ٤٠٪ من الاصوات • وفى انتخابات سبتمبر ١٩٧٦ فازت الاحزاب الثلاثة المتعاونة ــ أكيل ، والجبهة الديمقراطية ، التى يقودها سبيروس كبريانو ،

والاتحاد الديمقراطى الموحد للوسط (ايديك) ـ بحوالى ٧٥٪ من الاصوات٠
وخلال الشهور الاخيرة شكلت الانتخابات الرئاسية محور الحياة السياسية
فى الجزيرة ٠ وخلال المعركة الانتخابية نركز على المحافظة على الوحدة الوطنية
على أوسع نطاق ممكن ٠ ولذلك قررنا الا نتقدم بمرشح عن حزبنا على أساس
أن فوزه فى الانتخابات سيخلق وضعا يضع البلاد على حافة الحرب الاهلية ،
وهو ما نريد أن نتجنبه ٠ وبالاضافة الى ذلك ، فقد يستخدم الجيش التركى
هذا الانتصار كذريعة لاحتلال قسم آخر من الجزيرة ٠ وسوف يكون هناك
خطر حقيقى للتدخل فى شئوننا الداخلية من جانب **حلف الأطلنطى** ٠ اننا
نعتقد أن التكتيكات التى رسمها حزبنا على أساس التحليل العلمى للوضع
الخاص فى بلادنا ووضعها الدولى هى تكتيكات فعالة ، وتقدم حلا لمشكلة
قبرص بروح ديمقراطية وتتفق مع المصالح القريبة والبعيدة لشعبنا ٠

لقد عرضنا بعض اساليب معاداة الشيوعية فى أواخر السبعينات ، وهى
لا تعتبر بالطبع حصرا لكل ما فى تلك الترسانة ٠ والعامل الذى يكمن خلف
المفهومات التى تقدمها الدوائر الامبريالية هو الكراهية والعداوة الطبقية
تجاه الاحزاب الشيوعية ٠ فالدوائر الامبرياليةتود أن ترى الحركة الشيوعية
منقسمة ، والاحزاب الشيوعية ضعيفة أو لم تعد شيوعية ٠ ولذلك يحاولون
التدخل فى شئون الاحزاب الشيوعية ويثيرونها ضد بعضها البعض ، بل
ويحاضروننا حول كيف نتصرف ، وأين ومع من ينبغى أن نمضى ، ويقدمون
نواياهم كأهداف لنا ، ويدفعون بنا نحو التشتت ويشجعون الانقسام ٠

ان أعداء الشيوعية الامبرياليين يلحون على القضاء أو تعرية الاهداف المشتركة للشيوعيين فى النضال المشترك ضد الامبريالية من أجل مصالح الطبقة العاملة والسلام والتقدم الاجتماعى ٠ وكما أكد مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية فى أوربا ، فان الشيوعيين « سوف يطورون من تعاونهم وتضامنهم الامميين ، الرفاقيين ، والطوعيين على أساس الافكار العظيمة لماركس وأنجلز ولينين ، ويتمسكون بحزم بمبادىء المساواة والسيادة المستقلة لكل حزب ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، واحترام حرية اختيارها للطرق المختلفة في النضال من أجل التغير الاجتماعى ذى الطابع التقدمى ومن أجل الاشتراكية ٠ » وعن هذا الموقع الواضح والمحدد تود الدوائر الامبريالية ، وهى تلوح براية العداء للشيوعية ، أن تحولنا ٠

●

المغزى الدولى للدستور السوفييتى الجديد

بقلم: بوريس بوناماريوف

« فى ظل الديموقراطية لا يوجد الانسان من أجل القانون ، وانما يوجد القانون من أجل الانسان ... هذا هو الامتياز الاساسى للديموقراطية . »

١ تعبر كلمات كارل ماركس التى أوردناها أعلاه فى جوهر الفكرة الاشتراكية عن الديموقراطية التى تجسدت اليوم فى الدستور السوفييتى الجديد . فهذا هو القانون الذى يوجد من أجل الانسان . لقد أعطى الدستور طابعا رسميا لانجازات المجتمع الاشتراكى التاريخية ، واقامة أول دولة للشعب بأسره فى العالم ، دولة هدفها الرئيسى خدمة الشعب ومصالحه ، وتعزيز مثل السلام والحريه والاشتراكية . لقد رسم الافاق الرائعة لتقدم المجتمع السوفييتى اللاحق على الطريق نحو الشيوعية .

لقد ناقش الشعب السوفييتي بأسره مشروع القانون الاساسي للدولة السوفييتية الذى وضعته لجنة الدستور برئاسة ليونيد بريجنيف رجل الدولة اللينيني البارز • وطيلة شهور درس ابناء الشعب السوفييتي — فى ظروف الديموقراطية السوفييتية الكاملة ، وفى جو من العمل الدؤوب والحماس السياسى — كل مادة فى المشروع بطريقة جادة وبالغة الاهتمام ، وعبروا عن ارائهم ، وقدموا اقتراحاتهم ، وأدلوا بتعليقاتهم الانتقادية ، ونستطيع ان نقول دون مبالغة ان الشعب السوفييتي بأسره قد اشترك بصورة خلاقة فى وضع الدستور •

ويختلف الدستور السوفييتي اختلافا جذريا عن دساتير كل الدول الرأسمالية •وعلى حد قول لينين « يوفر النظام السوفييتي أقصى ديموقراطية للعمال والفلاحين ، ويمثل — فى الوقت نفسه — انفصالا عن الديموقراطية البرجوازية ، وظهور طراز جديد يفتح عصرا جديدا من الديموقراطية »• (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٣ ، ص ٥٤) وينسجم هذا الدستور ذو الطراز الجديد مع الدولة الاشتراكية ذات الطراز الجديد وتتألف السمات الاساسية التى تحدد المغزى الدولى لهذه الوثيقة التاريخية من :

— انه دستور للسلام والصداقة بين الشعوب •

— انه دستور اول دولة للاشتراكية المتطورة ، دستور مجتمع عليه أن يعالج مهاما خلاقة شاملة ، تتضمن السياسة الداخلية والخارجية والاقتصاد والمجموع الكلى للعلاقات الاجتماعية والقومية ، والعلم والثقافة ، وغرس معايير أخلاقية رفيعة •

— انه دستور أول دولة للشعب بأسره يعرفها التاريخ ، دستور للشعب ، لحماية مصالحه ، ولضمان مشاركة الجماهير العاملة الدائمة المباشرة المتزايدة فى الحكم •

— انه دستور يكفل أوسع الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والمدنية وأكثرها عملية للانسان العامل ، وانه ضمان حقيقى لهذه الحقوق •

— انه دستور من أجل المزيد من تطور الديموقراطية الاشتراكية يفتح المجال أمام اكمالها ونموها لتغدو ادارة اجتماعية ذاتية مع التقدم نحو المجتمع الشيوعى اللاطبقى •

لقد وصف أصدقاؤنا ممثلو الاوساط التقدمية الديموقراطية فى العالم كله الدستور السوفييتي الجديد — عن حق — بأنه « بيان الديموقراطية الاشتراكية » و « قانون الاشتراكية المتطورة » و « ميثاق السلام والاممية » •



يبين القانون الاساسى للاتحاد السوفييتى بجلاء أن الدولةالسوفييتية دولة سلام وصداقة بين الشعوب ٠

فهو يعتبر تشجيع السلام وتطوير التعاون الدولى مهمة من المهام الاساسية لدولة الشعب بأسره الاشـــتراكية ، ويؤكد ان « اتحاد الجمهـــوريات الاشتراكية السوفييتية يتبع بثبات سياسة لينينية ويؤيد تعزيز أمن الشعوب والتعاون الدولى الواسع » ٠

فعدم انفصال الاشتراكية عن السلام هو السمة الرئيســـــية للـدولة الاشتراكية ذاتها ، وتقليد راسخ من تقاليد المجتمع الجـديد ٠ ويعـــرف الجميع أن أول مرسوم اصدرته الدولة السوفييتية كان مرسوم الســلام الذى اعقبه انسحاب روسيا الثورية من الحرب العالمية الاولى ٠ وقدسجل التاريخ حدثا هاما مرتبطا بمناسبة دستور عام ١٩١٨ لجمهورية روســيا الاتحادية الاشتراكية ٠ فقد كان أول تعميم لشعار الدولة يحوى سيفا ٠ فتساءل لينين حين رأى التعميم « ٠٠ لماذا السيف ؟ اننا لسنـــا بحاجة الى الفتوحات ، وسياسة الفتوحات غريبة علينا تماما ، اننا لا نهاجم وانما ندافع عن أنفسنا ضد الاعداء الداخلين والخارجين ٠ وحربنا حرب دفاعيــة وليس السيف شعارا لنا »

ويقدم الدستور السوفييتى الجديد تعريفا موســعا لاهــداف الـدولة السوفييتية فى المجال الدولى ٠ « تستهدف سياسة اتحاد الجمهوريات الاشـــتراكية السوفيتية الخارجية توفير ظـروف دولية مواتية لبنـــاء الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى ، وصيانة مصـــالح دولة الاتحـــاد السوفييتى وتعـزيز مواقع الاشتراكية العالمية ، ومساندة نضال الشــعوب من اجل التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى ، ومنع حـروب العدوان ، وتحقيق نزع السلاح الكامل الشامل ، والتنفيذ الثـابت لمبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة » ٠ وليست بنا حاجة الى برهان خاص على أن هذه التعريفات الدقيقة ليست مجرد اعـلان ٠ فهى الواقع الذى تؤكده ممارسة الدولة السوفييتية طيلة ستين عاما ٠

وأيا كان المدى الذى يصل اليه رجـال الدعاية البرجـــــوازيون فى حديثهم عن « الخط السوفييتى » فانهم لا يســتطيعون ان يدحضـــوا الوقائع التاريخية التى لاجدال فيها ٠ وتشهد الوقائع بأن الامبريالية هى التى أطلقت أكثر الحـــروب دموية فى تاريخ البشرية بأسره ، ونعنى الحرب العالمية الثانية ٠ ومن الناحية الأخرى كانت الاشتراكية ،الاتحاد السوفييتى ، هى التى قـدمت الاســهام الحاسم فى هزيمـة الفاشـــية ، وكالة الســلام الذى كان يمكن لكل شعوب العالم أن تتمتع بنعمـــة لاكثر

من ثلاثين عاما لو لم تنتهكه ثانية مغامرات الامبريالية مثل تدخلها العدوانى فى فيتنام والشرق الاوسط وأفريقيا .

وكان لسياسه الاتحاد السوفييتى والاسرة الاشتراكية السلمية الاممية تأثير هائل على كل شبكة العلاقات الدولية وعلى القانون الدولى . فكثير من أهم أفكار ومبادىء ميثاق الامم المتحدة والوثيقة الختامية لمؤتمر هلسنكى قد صيغ تحت تأثير الاتحاد السوفييتى وكانت مبادرة الاتحاد السوفييتى ومساندته النشيطة هى المسئولة عن صدور بيانات الامم المتحدة عن منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة ، وخطر استخدام الاسلحة النووية والنووية الحرارية ، وعدم السماح بالتدخل فى الشئون الداخلية للدول وحماية استقلالها وسيادتها ، وتعزيز الامن الدولى . وكثير من البيانات الاخرى .

ويعكس الدستور السوفييتى الجديد بدوره أهم مطالب القانون الدولى . وليس من قبل المبالغة ، أن نقول أنه يفعل ذلك بكمال لايعادله فيه دستور أى دولة برجوازية ، فهو ينص مثلا على أن « علاقات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بالدول الاخرى تقوم على مراعاة المبادىء التالية : المساواة فى السيادة ، النبذ المتبادل لاستخدام القوة او التهديد بها ، عدم انتهاك الحدود ، سلامة اراضى الدول ، التسوية السلمية للمنازعات ، عدم التدخل فى الشئون الداخلية ، احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية ، المساواة فى الحقوق بين الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها ، التعاون بين الدول ، والتنفيذ الامين للالتزامات الناجمة عن مبادىء القانون الدولى وقواعده المعترف بها ، وعن المعاهدات الدولية التى وقع عليها الاتحاد السوفييتى . وهكذا يعطى الدستور طابعا رسميا قانونيا للجوهر الحقيقى لسياسه الاتحاد السوفييتى الخارجية . وكثيرا ما يقال فى الغرب ان هذا ليس سوى دعاية . لكن فلتضمن الدول البرجوازية دساتيرها كل هذه المبادىء وتحاول تطبيقها فى الممارسة . غير أنه من سوء الحظ أن ممارسة الامبريالية السياسية ، بعيدة عن ذلك كل البعد . فهى تصر على سياسة سباق التسلح ، وتطور المزيد والمزيد من الاسلحة المميتة . وهكذا تجبر بلادنا والاسرة الاشتراكية بأسرها على اتخاذ الإجراءات الضرورية لتعزيز أمنها ، ولضمان ظروف الحياة السلمية لكل الامم . وهذا بدوره وارد بوضوح فى الدستور السوفييتى الجديد .

ويصوغ القانون الاساسى للدولة السوفييتية مبادىء العلاقات الدولية التى تتشكل فى الجزء الاشتراكى من العالم . وتقوم هذه المبادىء على المثل العليا للأممية البروليتارية التى تجد صيغتها — فى

تطبيقها على العلاقات بين الدول ـ فى مبادىء الأممية الاشـــتراكية ، ومحاولة تصوير الأمور وكأن مبدأ الاممية الاشـــــتراكية يتناقض مع القواعد العامة للعلاقات الدولية محاولة عقيمة تماما • فعـلى العكس انه يمثل مزيدا من تعميق العلاقات يقوم على الصداقة الاخـوية ، وعـلى التكامل الاقتصادى ذى النفع المتبادل ، والتعاون الايديولوجى والسياسى، أى يقوم على شيء لا يمكن أن يوجد فى العلاقات بين البلدان الرأسـمالية والبلدان الاشتراكية •

وقد لاحظ الرأى العام العالمى أن الدستور يحدد واجبا من أهم واجبـات المواطنين السوفييت على أساس مبادىء الاممية بالتحديد : «ومن واجب مواطنى الاتحاد السوفييتى الاممى أن يطوروا الصداقة والتعاون مع شـعوب البلدان الاخرى ، وأن يساعدوا على صيانة السلام العالمى وتعزيزه » •



لاحظ ممثلو الاحزاب الشيوعية والعمالية والقوى الديمقراطيـة الواسعة بشكل خاص الطابع الشـعبى حقا للدستور السـوفييتى الجديد ، ولنظامنا السياسى بأسره • والواقع أن الدستور يقرر أن « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية دولة اشتراكية للشعب بأسره ، تعبر عن ارادة ومصالح العمال والفلاحين والفئة المثقفة والجماهير العاملة لكل أمم البلاد وقومياتها » • ويستطرد الدستور قائلا : « وكل السلطة فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بين الشعب • ويمارس الشعب سلطة الدولة عن طريق سوفييتات مندوبى الشعب ، التى تشكل الاساس السياسى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، وكل أجهزة الدولة الاخـرى خاضعة لرقابة سوفييتات مندوبى الشعب ، وتقدم الحساب لها » •

غير أن دولة الشعب بأسره التى تعبر عن الوحدة السياسية الاجتماعيـة والايديولوجية للمجتمع السوفييتى لا ترضى دعاة « التعدد » البرجـوازى • فهم يرفضون مجرد امكانية هذه الوحدة ، وامتزاج مصالح المجتمع كله وكل فرد من أفراده فى نشاط الدولة الاشتراكية وسياستها •

فماذا نستطيع أن نقول عن ذلك ؟

نعرف جميعا أن الدعاية البرجوازية قد أثارت ضـجة صاخبة حين فرض الدستوران السوفييتان الاولان ـ فى عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٤ ـ بعض القيود فى مجال الحقوق الانتخابية على ممثلى الطبقات المستغلة من أجل تعزيز دولة دكتاتورية البروليتاريا • وكانت عبارات « الدكتاتوريين » و « الطغاة » من أهون النعوت التى وجهتها الصحافة البرجوازية فى ذلك الوقت للنظـام السياسى لوطن السوفييتات •

لكن الزمن يمر • ومع منتصف الثلاثينات كانت أسس الاشتراكية قـد

أقيمت فى بلادنا • وألغى دستور عام ١٩٣٦ القيود على حق الانتخاب المبنية على الوضع الطبقى والسياسى • ومنح حق الانتخاب لكل مواطن يبلغ الثامنة عشر من عمره • وحل الاقتراع السرى المباشر محل التصويت برفع الايدى • ولم تعد استمارات مستغلة طلب العمل تحوى أسئلة عن الوضع الاجتماعي وسما اذا كان مقدم الطلب ينتمى الى طبقات سابقة. فماذا كانت النتيجة؟ تعرض دستور عام ١٩٣٦ الى هجوم قاس بالدرجة ذاتها التى تعرض لها الدستوران الأولان •

ومرت أربعون سنة أخرى • وحققت بلادنا تقدما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لا مثيل له • وتطورت الاسس الديمقراطية لدولتنا وكل نظامنا السياسى تطورا هائلا • وتعزز تحالف الطبقة العاملة والمزارعين الجماعيين والفئة المثقفة الشعبية والصداقة بين الامم والقوميات فى الاتحاد السوفييتى • وصمدت الدولة السوفييتية والديمقراطية الاشتراكية لمحن الغزو النازى الرهيبة • وبعد أن أدت الدولة السوفييتية مهام دكتاتورية البروليتاريا أصبحت دولة الشعب بأسره •

ويعكس دستور عام ١٩٧٧ مرحلة جديدة أرقى من مراحل تطور نظامنا السياسى • فما هى النتيجة ؟ سيل جديد من الافتراءات يوجه للديمقراطية السوفييتية • ان هؤلاء الذين نصبوا من أنفسهم مدافعين عن الديمقراطية لا يهمهم على الاطلاق التقدم الحقيقى الذى حققه مجتمعنا ، انهم يرفضون أن يلاحظوا التطور العميق الشامل للديمقراطية الاشتراكية ، وتوسيع حقوق المواطنين وحرياتهم الحقيقية وتعزيزها • انهم لا يرون أبعد من نموذج الدولة البرجوازية ونظامها السياسى ، رغم أن كل يوم يجلب معه برهانا جديدا على انتكاس الديمقراطية البرجوازية وتدهورها ، وشاهدا جديدا على انتهاك مصالح الجماهير العاملة الحيوية وحقوقهم وحرياتهم فى العالم الرأسمالى •

لقد كان ظهور الديمقراطية البرجوازية منذ ٢٠٠ أو ٢٥٠ عاما مضت فى مجموعة صغيرة نسبيا من بلدان أوربا وأمريكا الشمالية خطوة كبيرة الى الامام فى تطور المدنية السياسى • ولكن هذه الديمقراطية هى اليوم ماضى البشرية المنقضى ، وهى تكشف بوضوح متزايد عجزها عن تحقيق مصالح المجتمع •

فاتجاهات القرن العشرين السياسية الرئيسية يحددها ظهور الدول الاشتراكية وتطورها • وكل مستوى جديد بلغته الدولة الاشتراكية فى وطن السوفييتات هو بدوره لطمة جديدة للمدافعين عن الرأسمالية والدولة الرأسمالية المحكوم عليها بالهلاك •

ونحن ندرك تماما أنه طالما ظل العالم الامبريالى قائما فسيظل جهاز دعايته الضخم يبتدع كل أنواع الاختلاقات عن الاتحاد السوفييتى وبلدان الاشتراكية القائمة • لكن على الرأى العام التقدمى فى العالم أجمع أن يرى أن الامبريالية

هي المصدر الرئيسى للهجمات على الديمقراطية الاشتراكية ، لانها تدافع عن نظام سيطرتها بكل الوسائل التى فى يدها ، وتفرض فكرتها عن الديمقراطية التى تنتهكها الامبريالية ذاتها فى كل مكان ٠

٤ يتبدى الجوهر الديمقراطي العميق لدولتنا بصورة حية فى عبارات الدستور الجديد عن حقوق الشعب السوفييتى وحرياته ٠

ويعكس الدستور معالجة الاشتراكية الجديدة لقضية حقوق الانسان ٠ فما هو جوهر هذه المعالجة الجديدة ؟ ما هو اسهام الاشتراكية القائمة فى الخبرة التى اكتسبت خلال نضال البشرية التقدمية كلها من أجل تغيير جذرى فى وضع الفرد فى العالم الحديث ؟ هذا الجوهر هو :

ــ أولا ان الاشتراكية كانت أول من حبذ حقوق الجماهير العاملة فى الممارسة بدلا من الاعلان الشكلى للمساواة بين المواطنين الذى تتسم به الديمقراطية البرجوازية ٠

وأنها أقامت مساواة حقيقية بين الطبقات والفئات والمجموعات والامم والقوميات ٠

ــ ثانيا ان الاشتراكية قد كفلت للمرة الاولى دائرة واسعة من حقوق الانسان الاقتصادية ــ الاجتماعية الحقيقية بتوسيع الديمقراطية لتشمل مجال الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والثقافية ٠

ــ ثالثا أن النظام الجديد قد ربط حقوق الانسان السياسية والمدنية ربطا وثيقا بالنضال من أجل الاشتراكية والشيوعية ، وبالتالى من أجل التقدم الثابت ، ومن أجل بناء مجتمع يحقق تماما كل احتياجات البشر المادية والروحية ٠

وقد وسع الدستور الى حد كبير حقوق المواطنين السوفييت وحرياتهم وعزز ضماناتها ٠ وهى تشمل دائرة واسعة من حقوق الفرد وحرياته أوسع من تلك التى تنص عليها وثيقة مؤتمر هلسنكى الختامية ٠

ان انجازات الاتحاد السوفييتي الاقتصادية والثقافية الضخمة لم تجعل من الممكن فحسب تأكيد حقوق العمل والتمتع بالراحة ووقت الفراغ والتعليم المجانى ورعاية الشيخوخة دستوريا بل جعلت من الممكن كذلك اضافة حقوق جديدة لم تكن واردة فى دستور ١٩٣٦ ٠ فهناك الحق فى الرعاية الصحية ، والحق فى السكن ، والحق فى التمتع بالمنافع الثقافية ، وحرية العمل التكنيكى والفنى ٠

فلنأخذ الحق فى العمل . لم توجد بطالة فى الاتحاد السوفييتى منذ عام ١٩٣٠ ، ولفترة ما يقرب من نصف قرن لم يعرف المواطنون السوفييت ماذا يعنى أن يكون الانسان بلا عمل ، اذ يتوفر عمل مضمون لكل السكان القادرين على العمل .

أو فلنأخذ الحق فى السكن ، فيما بين عام ١٩٥١ وعام ١٩٧٧ بنت الدولة ٥٥٫٧٦٥٫٠٠٠ شقة وقدمتها مجانا للمواطنين السوفييت .

أو فلنأخذ حق التعليم . ان كل شخص يدرس مجانا . فمن المدرسة الابتدائية حتى المؤسسة التعليمية العليا ، وفى معاهد التعليم العالى والمدارس التكنيكية وعدد من المؤسسات التعليمية الاخرى يتلقى الطلاب منحا من الدولة . وفى عام ١٩٥٠ بلغت نفقات التعليم ٤٩٠٠ مليون روبل ، ووصلت فى عام ١٩٧٧ الى ٢٦٥٠٠ مليون روبل .

ولندرس مسألة المرتبات التقاعدية والرعاية الطبية . يحصل ستة وأربعون مليونا من المواطنين السوفييت على مرتبات تقاعدية من الدولة تتيح لهم التقاعد الى الراحة عند بلوغ سن المعاش . وكل ألوان المساعدات الطبية ـ فى المنزل أو فى العمل ، فى العيادات الخارجية أو المستشفيات ، للبالغين أو الاطفال ـ تقدم مجانا .

ولنأخذ الحق فى الراحة ووقت الفراغ . فى عام ١٩٧٦ قضى ثمانية وأربعون مليونا من المواطنين السوفييت عطلاتهم فى المراكز الصحية ومراكز العطلات وفى عام ١٩٥٠ كان هناك ٣٧٠٧ مركزا صحيا ومركز عطلات ، زاد عددها فى ١٩٧٦ الى ١٢١٩٢ مركزا .

ويمكن للمرء أن يورد كثيرا من الحقائق الاخرى التى تشهد بفعالية حقوق المواطنين السوفييت .

ان الدستور الجديد ـ كما ذكر الرفيق بريجنيف ـ « قد أكد من جديد على أن كل التحولات ، كل التغيرات التى تجرى فى بلادنا ، تستهدف فى المقام الاول توفير ظروف حياة انسانية حقا لكل فرد . لقد أوضح من جديد بجلاء أن مفهومات الحرية وحقوق الانسان والديمقراطية والعدالة الاجتماعية لا تكتسب جوهرا حقيقيا الا فى ظروف الاشتراكية » .

ولمعالجة الاشتراكية الجديدة لمسألة ضمان حقوق الانسان أهمية عالمية كبيرة لانها احدى قضايا العصر الحديث الاساسية . ولا يرجع ذلك بالطبع الى أن الدعاية البرجوازية قد شنت أخيرا حملة صاخبة حول « الدفاع عن حقوق الانسان » لا تستهدف الا المضاربة ، ويراد بها افساد العلاقات الدولية، وابطاء الانفراج .

فقضية حقوق الانسان قضية موجودة فى الواقع بغض النظر عن مناورات الامبريالية الايديولوجية • ويعرف شغيلة العالم كلها أنها ترتبط فى الممارسة بالنضال ضد البرجوازية ، وضد الرأسمالية التى تستغل الفـــرد وتظلمه ، وضد الامبريالية التى تستبعد الامم وتخنق حرياتها •

ويحاول الساسة البرجوازيون اليوم أن يسرقوا ورقة من كتابنا ، لكن هذا ليس عملا أمينا ، لان الشيوعيين هم الذين كانوا ــ منذ مولد حركتهم ــ أكثر أنصار حقوق الكادح وحرياته اتساقا والتزاما وتضـــحية بالذات • ولان الشيوعيين هم الذين لم يدخروا جهدا ، وحتى لم يضنوا بالحيــاة ذاتها ، فى النضال ضد القهر الامبريالى ، وضد التمييز الاجتماعى والقومى والعنصرى •

وقد مارس الاتحاد السوفييتى وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى نفـــوذا هائلا على النضال من أجل اعتراف القانون الدولى بحقوق الانسان الاقتصادية الاجتماعية • وبمبادرة من الاتحاد السوفييتى سجلت حقوق الفرد الاقتصادية ــ الاجتماعية فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان عام ١٩٤٨ ، وفى المواثيق الدولية عن حقوق الانسان التى أصدرتها الجمعية العامة للامم المتحـدة عام ١٩٦٦ • وقد صدق الاتحاد السوفييتى ــ ككل الدول الاشتراكية الاخرى ــ على هـذه الوثائق • غير أن الولايات المتحدة والاغلبية الساحقة من البلدان الرأسماليـة ما زالت تمتنع عن التصديق على مواثيق عام ١٩٦٦ •

وليس هذا من قبيل الصدفة • فلنأخذ على سبيل المثال حق بالغ الاهميـة مثل الحق فى العمل • ان جيش العاطلين الذى يبلغ فى البلدان الرأسمالية خمسة عشر مليونا ــ بينهم ثمانية ملايين فى الولايات المتحـــدة أغنى الدول الرأسمالية ــ هو اتهام حى لساسة العالم البرجوازى وأيديولوجيـــة الذين يرون القذى فى عين الاخرين ولا يرون الشظية التى فى أعينهم هم •

أو فلنأخذ مسألة المساواة القومية والعنصرية • ان البطالة بين السود فى الولايات المتحدة ضعفها بين السكان البيض • ودخل العائلة السوداء المتوسطة يبلغ نحو نصف دخل العائلة البيضاء المتوسطة • ولا تضيق هذه الهوة وانما تتسع • ففى الولايات المتحدة تبلغ نسبة العاطلين بين الشباب السود ٤٠٪ • وليس وضع الهنود الامريكيين بأفضل من هذا • وما زالت المساواة التى يعلنها الدستور ــ وكثير من القوانين الاخرى التى تحظر التمييز العنصرى ــ سرابا فى الصحراء بالنسبة لملايين الامريكيين •

ويعرض الدستور السوفييتى الحقوق والحريات التى تكفلها الدولة تماما، والتى تعد مسئولة عن مراعاتها أمام المجتمع •

ويدرك أوصياء أسلوب الحياة البرجوازى جيدا أن لعبتهم قد انكشفت فى

مجال حقوق الفرد الاقتصادية الاجتماعية • ومن هنا فانهم يحاولون أن ينقلوا المناقشة كليا الى مجال الحقوق السياسية بتفسير ضيق لها • لكن جهودهم حتى هنا محكوم عليها بالفشل •

فالدستور السوفييتى اذ يكفل حقوقا سياسية واسعة – حرية التعبير والصحافة والاجتماع والمواكب والمظاهرات وحق الانتماء الى المنظمات العامة – يوضح أن هذه الحقوق والحريات تمنح بما يتفق مع مصالح الشعب ، وبهدف تعزيز النظام الاشتراكى •

فما هو وجه الانتقاد هنا ؟ من الطبيعى أن يستهدف دستور مجتمع اشتراكى حماية النظام الاشتراكى ، ويتفق هذا الهدف تماما مع مصالح الشعب السوفييتى بأسره كما أكدت من جديد الموافقة الاجماعية على الدستور• فكيف يمكن الزعم بأن الاشتراكية تخطىء بالدفاع عن نظام الملكية العامة ، وعن النظام السياسى للشعب بأسره ، وعن السياسة الخارجية المحبة للسلام ، من هجمات الافراد ؟ كلا ، ان هذا ليس حقا للدولة الاشتراكية فحسب بل هو واجب عليها •

وقد أعرب بعض الناس فى البلدان الرأسمالية وهم يعلقون على دستورنا عن قلقهم حول ما اذا كانت للمواطنين الافراد فرصة كافية للتعبير عن آرائهم تنفيذا للحق فى انتقاد النواقص بما فى ذلك نشاط مختلف الاشخاص الذين يشغلون مراكز مسئولة والصدام بين مختلف الاتجاهات فى الفنون وما الى ذلك • وتلك مسألة عملية ، تحل فى المجتمع الاشتراكى بطريقة عملية ، وعلى أساس ديمقراطى متسق ، ولم يقنن الدستور الجديد هذه الممارسة فحسب ، بل وفر كذلك ظروفا أكثر مواتاة لتطورها واكمالها • يقول القانون الاساسى « لكل مواطن الحق فى تقديم اقتراحات لاجهزة الدولة والمنظمات العامة **لتحسين نشاطها ، وفى انتقاد النواقص فى عملها ..** **واضطهاد بسبب النقد محظور ، وينبغى معاقبة من يرتكب مثل هذا** الاضطهاد • »

٥ يتجسد الطابع الشعبى الحق لنظامنا ، واهتمامه بمصالح المجتمع بأسره وكل فرد فيه ، وتمسكه المتسق بقضية السلام فى النشاط الابداعى الهائل للدولة السوفييتية • وقد أوضح الدستور للعالم بتحديده الواسع لمهام الدولة ووظائفها فى توجيه الاقتصاد الوطنى ، الغرض من الدولة الاشتراكية كأداة فعالة لمضاعفة الثروة الاجتماعية ، وتحسين رفاهية الشعب •

ويصف الدستور أساس دولتنا كما يلى : « الهدف الاسمى للانتاج الاجتماعى فى ظل الاشتراكية هو أكمل اشباع ممكن لاحتياجات الشعب

المادية والثقافية والفكرية المتزايدة » • وما من دستور برجوازى واحد يمكن أن يحوى مثل هذا المبدأ ، وبالاحرى يمكن أن يضعه موضع التطبيق •

فالمدى الهائل للتطور الاقتصادىفى عصرنا ، وانجازات العلم والتكنولوجيا التى لم يسبق لها مثيل ، والتى جعلت من الممكن زيادة انتاجية العمـــــل الاجتماعى باستمرار ، قد أبرزت مسألة الادارة الكفء للاقتصاد بوصـــفها مسألة ملحة • وكان توسع وظائف الدولة البرجوازية فى الاقتصاد ، وتطور رأسمالية الدولة الاحتكارية برهانا جديدا على عجز نظام الرأسمالية السياسى عن مواجهة مطالب التقدم الاقتصادى والاجتماعى • ويكشف اتجاه كثير من فروع الاقتصاد البرجوازى الى انتاج الاسلحة ، وتكوين التجمعات العسكرية الصناعية ـ العسكرية العملاقة بدوره عن الاتجاه المعادى للشعب لنشـــاط الدولة البرجوازية ، والطبيعة المشبوهة لتدخلها فى الحياة الاقتصادية •

والاقتصاد الاشتراكى المخطط الذى أقيم فى بلادنا هو التجســيد الحقيقى لفكرة ادارة الشعب ذاته للاقتصاد ، بدون البرجوازية ، بدون الاحتكارات • وهذا هو جوهره الديمقراطى العميق ، وهو أيضا أساس الاتجاه الســياسى ـ الاجتماعى لتقدم بلادنا الاقتصادى • واليوم حيث يستطيع العالم كله أن يرى نتائج ستين عاما من تطور الاتحاد السوفييتى فان أحدا لا يستطيع أن يشـــك فى أن هذا بناء سلمى ، يستهدف كليا اكمال المجتمع ، وتحسين رفاهيـــة العاملين • فالاتحاد السوفييتى يكرس كل قواه لهدف عظيم هو بناء الشيوعية على أرضه ، واذا كان هذا « خطر » فانه ليس بالتأكيد الخطر الذى يتحـــدث لخلق نموذج لنظام اجتماعى أكثر كمالا وفعالية وعدالة وديمقراطية •

ويعبر بعض المعلقين الاجانب عن شكلهم فى أن يكون الدســتور قد أدلى مثل هذا الدور الكبيرللدولة ، وعما اذا لم يؤد هذا الى تراخى نشاط المؤسسات الاجتماعية التى تمثل الجمهور بمجموعة • أفلا يضاعف الدســـتور عناصر المركزية على حساب الديمقراطية فى توجيه الاقتصاد والعمليات الاجتماعيـــة والثقافية ؟

وسنرد على الفور بأنه لا أساس لمثل هذه المخاوف ، فالواقع ، ما زال يسند للدولة الاشتراكية دور هائل فى توجيه حياة مجتمعنا ، غير أن هنـــاك فى الوقت نفسه ـ والى جانب الاكمال الدائم لعمل جهاز الدولة ـ اجراءات جديدة بالغة الاهمية لتعزيز المبادىء الديمقراطية والشعبية لنشاطها • ويتزايد دور المنظمات العامة فى توجيه شئون المجتمع والدولة تزايدا كبيرا ، وتتعـــزز الرقابة الشعبية •

وتكمن احدى السمات الاساسية للنظام السياسى الســـوفييتى فى المزج العضوى بين الدولة والمبادىء الاجتماعية ، وبين عمل الاجهـــزة السياسية ونشاط الشعب ذاته وابداعه •

والمثل الواضح على ذلك هو دور جماعات العاملين فى تدبير شئون المصانع والمزارع الجماعية ومزارع الدولة بل وكذلك فى توجيه المجتمع السوفييتى بأسره • ويرفع الدستور الجديد هذا الدور الى مستوى جديد أرقى ، فهو يقول فى فصله الاول : « تشترك جماعات العاملين فى مناقشة شئون الدولة والشئون العامة وتقريرها ، وفى تخطيط الانتاج والتطور الاجتماعى ، وفى تدريب الكوادر وتوزيعها ، وفى مناقشة وتقرير المسائل المتعلقة بادارة المنشآت والمؤسسات ، وتحسين ظروف العمل والمعيشة ، واستخدام الارصدة المخصصة لكل من تطوير الانتاج وللاغراض الاجتماعية والثقافية والحوافز » •

وما من دستور برجوازى واحد يتضمن ــ أو يمكنه أن يتضمن ــ مثل هذا الرأى • وليس من قبيل الصدفة أن مشاركة العمال فى ادارة المنشآت من أهم المواضيع فى صراع الجماهير العاملة فى البلدان الرأسمالية • فللاحتكارات سيطرة كاملة على ادارة الورش والمصانع وهى فى الممارسة لا تعطى العمال اى دور فى ذلك • أما عن النشاط السياسى لجماعات العاملين وابدائها رأيها بشأن المسائل الاساسية لسياسة الدولة والقيام بأعمال تتعلق بذلك فتلك أمور تحظر فى المنشآت الرأسمالية وتقمع •

ومن السمات الاساسية لدولتنا أن هيئاتها محاطة بالملايين من العناصر النشيطة التى لا تنتمى الى جهاز الدولة لكنها تسهم يوميا فى ادارة الدولة • فمن هم هؤلاء النشيطون ؟ انهم يضمون ٣٥ مليون شخص يعملون مع النواب فى سوفييتات نواب الشعب : ٩ر٥ مليونا منهم ممثلون فى الرقابة الشعبية ، و ٥ر٣ مليونا من أعضاء مؤتمرات الانتاج الدائمة فى الورش والمصانع ، و ٢٠٠ر٣٠٠٠ من أعضاء هيئات ادارة المزارع الجماعية وتشير التقديرات الى أن واحدا من كل أربعة من مواطنى بلادنا فوق سن الثامنة عشر يشترك بدور نشيط فى الادارة اليومية لشئون الدولة •

٦ وليس لأحاديث الايديولوجيين البرجوازيين عن دور الحزب الشيوعى فى نظام بلادنا السياسى أية علاقة بالواقع • ولا يفهم المدافعون عن البرجوازية ــ أو يرفضون أن يفهموا ــ أن الدور الذى يلعبه الحزب الشيوعى فى ظروف الاشتراكية لا يمكن أن يقارن بدور الاحزاب البرجوازية فى البلدان الرأسمالية • فالحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، حزب الطبقة العاملة ، هو طليعة الشعب السوفييتى بأسره ، وهو يجسد كل ما هو تقدمى وثورى ، كل ما يوجد بين العمال والفلاحين والفئة المثقفة من كفاءة مهنية واخلاص للشيوعية • انه زهرة الشعب ومصدر اعتزازه ، وهو فى الوقت ذاته لحم ودم الشعب نفسه •

ودور الطليعة ليس مجرد شرف بل مسئولية كبيرة ، وقد كان الشيوعيون السوفييت دائما فى أشق القطاعات وأخطرها فى الحرب الاهلية والحرب الوطنية • واليوم أيضا يؤدى الشيوعيون أعقد المهام وأشقها فى البناء الاقتصادى وفى القوات المسلحة وفى نشاط الدولة فى مجال السياسة الخارجية •

ان صياغة أهداف تطور البلاد الاجتماعي وآفاقه في عمليات التوجيه في ظروف النمو الهائل لنطاق الاقتصاد ، وتعمق المهام الاجتماعية ، وزيادة تعقد قضايا الحياة الدولية • والحزب كطليعة للشعب هو وحده الذي يمكن أن يؤدى بنجاح هذه الوظيفة الهامة بالغة المسئولية • انه هيئة أركان حرب حياة البلاد النظرية والسياسية •

وأكثر ما يجد المدافعون عن الديمقراطية البرجوازية صعوبة فى فهمه حقيقة بسيطة هى أن الشيوعيين ليسوا مجرد مجموعة من الموظفين فى منظمات الحزب العليا كما تعمل الاحزاب البرجوازية • فالشيوعيون الذين يزيد عددهم على ١٦ مليون عضو فى الحزب ـ هم أكثر أقسام الشعب نشاطا وفصيلته الامامية ، وكلهم ينغمسون يوميا وعلى الدوام فى أداء مختلف مهام ادارة الشئون العامة وشئون الدولة على كل المستويات • وتلك سمة أساسية لنظامنا السياسى ، ولها أفضلية على النظام البرجوازى بما لا سبيل الى مقارنته حيث الادارة امتياز لاشخاص فى السلطة يمثلون مصالح الطبقة الحاكمة •

ويحدد الدستور الجديد دور الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى باعتباره القوة القائدة والمرشدة لمجتمعنا ودولتنا ، كما يحدد مكانه فى النظام السياسى للاتحاد السوفييتى ، ويرسى اطارا دستوريا محددا لنشاط منظمات الحزب ، ويصوغ المبدأ الحيوى التالى : « تعمل كل منظمات الحزب داخل اطار دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » • وتستهدف هذه القاعدة زيادة دور الدستور كقانون أساسى ، وتحديد مهام الحزب ومؤسسات نظامنا السياسى الاخرى ووظائفها بوضوح • ولهذا التناول أهمية عملية وأساسية هائلة ، وهو يمكننا من تحسين الكفاءة فى كل توجيه للمجتمع الاشتراكى ، وتطبيق المبادىء العلمية للادارة باتساق أكبر •

ويضع الايديولوجية البرجوازيون خبرة تطور النظام السياسى للاشتراكية القائمة موضع المعارضة من نظام تعدد الاحزاب ، لكن نظام تعدد الاحزاب لم يظهر كمنحة من الدولة البرجوازية للجماهير • وهو لا يعنى فى بعض الدول البرجوازية حتى فى وقتنا هذا الا وجود عدة أحزاب للبرجوازية ذاتها • وقد انتزع العمال والفلاحون وغيرهم من مجموعات العاملين حق وجود أحزابهم ـ بما فيها الاحزاب الشيوعية والعمالية ـ من الدولة البرجوازية فى مجرى نضال عنيف لا هوادة فيه استمر قرونا • غير أن خبرة القرن العشرين كلها تشهد بأن رأس المال الاحتكارى يفعل كل شىء فى أوقات الازمة لالغاء هذه المكاسب ، وازالة الاحزاب التقدمية الثورية ، وخطر تمثيل العمال وغيرهم من الكادحين فى البرلمان أو تضييق ذلك للغاية •

واننا لننصح للمدافعين المتحمسين عن الديمقراطية البرجوازية الذين يمسكون بعدسة مكبرة فى أيديهم بحثا عن الاساءات الى الحقوق فى البلدان الاشتراكية أن ينظروا الى ماضى الدول الرأسمالية غير البعيد • لقد ظهرت الفاشية الالمانية فى ظروف ديمقراطية « التعدد » فى ألمانيا أثناء جمهورية فيمار حيث كان الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى السلطة لعدة سنوات •

وان قيام دكتاتورية فاشية لا فى منطقة نائية ، وانما فى قلب أوربا بتقاليدها الديمقراطية الطويلة (ألمانيا وايطاليا) ليؤكد بجلاء ما قاله الشيوعيون ، ما قاله لينين ، قبل ذلك بأمد طويل وهو أن الدولة البرجوازية مريضة مرضا قاتلا ، وأن لديها اتجاها واضحا لبند الديمقراطية · ولا يستطيع أن يحول دون هذه الدولة والانزلاق فى هوة العسكرية والرجعية السوداء الا نضال الطبقة العاملة النشيط المتسق المنكر للذات بالتحالف مع الفلاحين والمثقفين التقدميين ·



من السمات المميزة للدولة السوفييتية التحسين المستمر للديمقراطية الاشتراكية وتطويرها · فبعد أن مرت دولتنا بفترة دكتاتورية البروليتاريا ، التى ولدتها الحاجة الى الدفاع عن مكاسب الثورة ، وقمع مقاومة الاعداء الطبقيين ، وتحويل العلاقات الاجتماعية تحويلا أساسيا نمت لتصبح دولة للشعب بأسره ، تعبر عن ارادة ومصالح كل الطبقات والمجموعات والامم والقوميات فى بلادنا · وهذا هو التعبير الاساسى عن تقدم الديمقراطية الاشتراكية ، والانجاز السياسى الرئيسى للطريق الذى عبرته منذ ثورة أكتوبر العظمى ·

والدستور ذاته لا يصوغ مستوى الديموقراطية الحالى فحسب ، بل يضع كذلك برنامجا لتطورها اللاحق · يقول الدستور « الاتجاه الرئيسى فى تطور النظام السياسى للمجتمع السوفييتى هو توسيع انديموقراطية الاشتراكية ، وبالتحديد المشاركة الاوسع للمواطنين فى ادارة شئون المجتمع والدولة ، والتحسين المستمر لجهاز الدولة ، والارتفاع بنشاط المنظمات العامة ، وتعزيز نظام الرقابة الشعبية ، وتوطيد الاساس القانونى لسير الدولة والحياة العامة ، وتوفير قدر أكبر من العلنية ، والاستجابه الدائمة للرأى العام » ·

وتطور الديموقراطية الاشتراكية أمر مستمد من طبيعة الاشتراكية ذاتها من حيث أنها المرحلة الاولى للشيوعية · ويعلن دستور الاتحاد السوفييتى بعبارات قاطعة ان الهدف الاسمى للدولة السوفييتية هو بناء مجتمع شيوعى لا طبقى ، تتطور فيه الادارة الذاتية الاجتماعية الشيوعية · وأيا كان طول الطريق نحو هذه الغاية ، أيا كانت صعوبة العقبات التى ينبغى التغلب عليها ، فان النضال لتحقيقها يستثير بذاته التقدم الشامل للمجتمع ، بما فى ذلك مجال العلاقات السياسية ·



لاحظت الاحزاب الشقيقة أن لتطوير الدستور الجديد للنظرية الماركسية اللينينية عن الدولة أهمية كبيرة ·

وقد أجاب حزبنا ولجنته المركزية ومكتبه السياسى بقيادة ليونيد بريجنيف ــ الذى يواصل باخلاص قضية لينين العظمى والتغير البارز للسلام والتقدم الاجتماعى ــ عن هذه الاسئلة ، وطوروا النظرية الماركسية اللينينية عن الدولة ، وعن الديموقراطية الاشتراكية ، وعن كل نظامنا

السياسى ، بما يتفق مع المرحلة المعاصرة من البناء الشيوعى ٠

وتشمل الافكار الرئيسية التى صـــاغها الحزب الشيوعى فى الاتحـاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية اللينينية ٠

ـ فكرة الاشتراكية المتطورة كمرحلة من مراحل انتقـــال المجتمع الى الشيوعية ٠

ـ فكرة تحول دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة الشعب بأسره كأداة حيوية فى بناء الشيوعية ٠

ـ نظرية الحزب كقوة قائدة وموجهة فى النظام الســـياسى وفى مجتمع الاشتراكية المتطورة كله ٠

ـ المبادىء العلمية لتوجيه المجتمع والدولة على أساس المزج بين منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ومزايا النظام الاشتراكى ٠

ـ تحديد مبادىء العـــلاقات المتبادلة بين بلدان الاسرة الاشـتراكية على أساس الاممية الاشتراكية والمساواة والمساعدة المتبادلة والتكامل الاقتصادى والتعاون الشامل ٠

ـ تحديد المبادىء الجديدة للعلاقات المتبادلة بين البلدان الاشـــتراكية والبلدان التى تحررت من السيطرة الاستعمارية ٠

ـ التحديد الواسع لمبادىء التعايش الســـلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة الخ ٠٠٠

وهذه الافكار منصوص عليها اليوم فى الدستور السوفييتى الجـديد ، وهى تشكل القانون الاساسى لحياة مجتمعنا ودولتنا ، وتحدد آفاق تطورها نحو الشيوعية ٠

لقد خلقت السنوات الستون من وجود الدولة الاشتراكية السوفييتية ، وما يقرب من ثلاثين عاما من تطور الدول الاخرى فى النظـام الاشتراكى العالمى ، نموذجا رائعا وتشكيلة واسعة فى الاشكال والاساليب التى تمارس بها الطبقة العاملة دورها القيادى ، وتشترك بها الجمـــاهير العـاملة فى ادارة الدولة ٠ واذ يمضى الزمن ستصبح الخبرة العملية للاشتراكية القائمة بديموقراطيتها ذات الطراز الاشــــتراكى الجديد أكثر أهمية للشـــعوب الاخرى ، ولكل القوى التقدمية فى العصر الحديث ٠

ويؤكد هذه النتيجة أن الطبقة العاملة والفـــلاحين والمثقفين التقـدميين والاقسام الواسعة من البرجوازية الصغيرة تجد فى خبرة الاشتراكية القائمة التى تتجسد بوضوح فى الدستور السوفييتى الجديد ، المثـــال والالهـام لتطوير نضالها ضد الاحتكارات بالغة القوة فى البلدان الرأسمالية المتطورة كما تؤكد هذه الحقيقةخبرة بلدان آسيا وافريقياوأمريكا اللاتينيةحيث تناضل القوى التقدمية الآن من أجل سلطة الجماهير العاملة ، ومن أجل توجه اشتراكى ٠

●

الرأسمالية وأزمة ٧٤ـ ١٩٧٥

بقلم : ماكس شميدت

لم يحدث من قبل منذ الحرب العالمية الثانية ، أن كان تطور الرأسمالية غير المستقر والذى تخنقه الازمة بمثل هذا الوضوح الذى كان عليه فى السبعينات • ان تفاقم الازمة العامة للرأسمالية يتجه بشكل متزايد الى تدهور الظروف التى توجد فيها • وليس الوضع الدولى بمفرده هو الذى تغير بشكل ملحوظ ضد الرأسمالية • لقد تفاقمت تناقضاتها وعداواتها الطبقية الداخلية بصورة حادة وحدثت تغيرات سياسية اجتماعية واقتصادية عميقة •

والوضع الحالى فى البلدان الرأسمالية حدده بوضوح ليونيد بريجنيف عندما قال : « ان الرأسمالية تكشف بوضوح متزايد عن انها مجتمع بلا مستقبل • فاقتصادها مصاب بحمى مزمنة • والتقدم التكنولوجى يطرد جماهير العمال خارج المصانع على نطاق يهدد بزعزعة النظام السياسى الاجتماعى بكامله » •

ولنتذكر أن المدافعين عن الرأسمالية كانوا قد تنبأوا للسبعينات برخاء مستقر واصلاحات اجتماعية واسعة تؤدى الى تفوق الغرب الرأسمالى وطريقة الحياة الغربية على طول الزمن ٠

وانه لمن المهم أن نحلل الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة وآثارها ليس فقط لأن التناقضات الحادة للرأسمالية التى سببتها لا تزال قائمة ، ومشكلة التغلب على آثارها ماتزال مشكلة ملحة ٠ لقد كانت أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ من وجوه عديدة ، غير عادية وفريدة ، وسوف تساعدنا دراستها على اثراء فهمنا للازمات الدورية وللدورات الاقتصادية بشكل عام ٠ وأخيرا ، فبدون تحليل لهذه الازمة من المستحيل الخروج بأية استنتاجات ترتكز على العلم اما حول الافاق العاجلة أو الاكثر بعدا لتطوير اقتصاد وسياسة الرأسمالية ٠

وقد قيل فى المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد : « فى الوقت الذى تمثل فيه الازمة العامة للرأسمالية شيئا ملازما على الدوام للرأسمالية فى مرحلة تطورها الاخيرة وستصاحبها حتى أيامها الاخيرة ، فان الازمات الدورية تأتى وتروح ، كما اكتشف ماركس وأكد التاريخ ٠ ومع ذلك ، فمنذ بداية السبعينات بدأت الطريقة الخاصة التى تتشابك بها الازمة العامة والازمات الدورية للرأسمالية ، تكشف عن نفسها » ٠

وهذا التشابك هو السبب فى أن أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ قد ازدادت عمقا واتساعا وطالت ، وكان لذلك ـ وهذا هو الاهم ـ آثار أكثر تدميرا من أية أزمة طوال السنوات الاربعين الماضية ٠ انه يفسر كذلك السبب فى أن الازمة دلت على تحول حاد فى تطور الرأسمالية العالمية ، وفى أن التناقضات والنزاعات الرأسمالية تتداخل فى عقدةمستعصية ٠ وسوف تمارسهذه العداوات تأثيرا طويل الامد على تطور الرأسمالية ٠

وتظهر مشاكل نظرية وعملية جديدة فى الصراع الطبقى تمشيا مع النطاق الجديد لتناقضاتالرأسمالية ٠ وترجع هذه المشاكل فى المحل الاول الىالحقيقة الماثلة فى أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الموضوعية للانتقال الى الاشتراكية قد وصلت فى البلدان الرأسمالية الى درجة عالية من النضوج وهناك دفع هائل ومتزايد للتغيير الراديكالى ٠

وترجع الطريقة المتميزة التى تتشابك بها الازمة العامة والازمات الدورية فى المحل الاول الى الظروف المتغيرة التى وجدت فيها الامبريالية فى منتصف السبعينات ٠

وهذه الظروف هى ، أولا ، توازن القوى فى الساحة الدولية الذى يميل لصالح الاشتراكية نتيجة لتزايد القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية للاسرة الاشتراكية ، ولقوة جذب الاشتراكية ، التى تكشف عن مزاياها بصورة متزايدة ، بما فى ذلك مزاياها فى مجال الانتاج ٠

ويساعد التغير فى ميزان القوى على اقرار مبادىء التعايش السـلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة فى العلاقات الدولية • ويساعد ذلك على مواجهة محاولات الامبريالية حل التناقضات والأزمات الداخليـة فى طريق أساليبها المجربة ، بما فى ذلك المغامرات العسكرية ، والتوسع الاقتصادى ، والعدوان ضد البلدان الاشتراكية ، وكذلك نهب البلدان النامية •

وأحد العوامل الاخـرى الـكامنة خلف الظروف المتغيرة التى توجد فيهـا الامبريالية هو القضاء على نظامها الاستعمارى ، ورفض عديد من البلدان النامية تبنى الطريق الرأسمالى للتطور ، وتوجهها نحو الاشتراكية ، بما يترتب على ذلك من فقدان الامبريالية بالتدريج لسيطرتها على موارد الطاقة والمواد الخام الرئيسية ، ومن أنها لم تعد قادرة على فرض الاسعار لانواع عدة من المنتجات فى السوق الرأسمالى العالمى • وقد أصبح كل ميكانيزم العلاقات الاقتصادية الدولية لرأسمالية الدولة فى البلدان الامبريالية مع البلدان النامية محلا لاعادة النظر • وتحت تأثير هـذه العوامل ازدادت بدرجة ملحوظة حـدة العداوات والتناقضات الاقتصادية الاساسية للنظام الرأسمالى فى كافة البلدان •

وأحد السمات الخاصة الاخرى للوضع هو أن عددا من الظواهر الجـديدة فى الاقتصاد الرأسمالى قد مارست تأثيرا هاما على مجرى الازمة وآثارها •
فهناك ، أولا ، الازمات البنيوية العميقة على نطاق الاقتصاد بكامله ، بما فى ذلك قطاعى الطاقة والمواد الخام ، والبنية السفلى ، والقطاعات الرئيسية فى الاقتصاد مثل المعادن ، وبناء السفن والانشـاءات ، والمجالات غير المنتجـة « التعليم ، وحماية البيئة ، والصحة العامة ، والضمان الاجتماعى » • ويتضمن ذلك أيضا العمليات الطويلة الاجل للتلاؤم الاقتصادى الناجمة عن الاتجاه نحو التوزيع التكنولوجى والمنافسـة المتزايدة الحـدة بين مراكز الامبريالية وبين البلدان المفردة •

لقد اكتسب التضـخم نطاقا لم يسبق له مثيل فى وقت السلم وأصبح ملازما دائما للرأسمالية ، يعمل فى كل طور من الدورة دون استثناء • وأزمة فائض الانتاج ، مرتبطة بالتضخم الذى اجتاح البلدان الرأسمالية ، هى ظاهرة جديدة تماما فى تاريخ الازمات الدورية • وزاد ذلك على وجه الخصوص من حدة عدم استقرار الاقتصاد الرأسمالى العالمى والعمـل العشوائى لقواه • ان نمو الاسعار الكبير قد قوض على الدوام من تنـاسب القيمة ، وقلل من الحـوافز لتجديد الأصول ، وأشاع الاضطراب فى نظام الائتمان بكامله . وكانت خطـا التضخم الواسعة تعنى نموا سريعا فى تكاليف المعيشة •

فما هو أثر هذه العناصر غير الدورية عندما توضع فوق العوامل الدورية ؟
أولا ، ينبغى أن نتذكر أن التدهور فى الانتاج الصناعى كان كسرا للغاية • ووصل الهبوط من أعلى مستوى قبل الازمة الى أدنى نقطة فى الازمة الى ١ر١٣٪ فى الولايات المتحدة ، ٩ر١٩٪ فى اليـابان ، ٧ر١٠٪ فى ألمانيـا الفيدرالية ،

وهكذا • وتكشف هذه الارقام عن أكبر شلل فى القوى المنتجة خلال العقود القليلة الماضية • لقد بلغت تسهيلات الانتاج غير المستخدمة ، والاغلاق الكامل أو الجزئى للمؤسسات ، ووقف الانتاج ، واعدام السلع ، وافلاس الشركات ، والبطالة الواسعة ، أبعادا هائلة •

ولان الازمة أصابت البلدان الامبريالية الرئيسية فى نفس الوقت ، فقد تقلصت التجارة العالمية للبلدان الرأسمالية لاول مرة منذ ١٩٤٥ • وعند أدنى نقطة فى الازمة عام ١٩٧٥ ، كانت أقل ٦٪ ، مما يعنى هبوطا أكبر من هبوط الناتج القومى الاجمالى « ٣٪ » • وبالصدفة ، فلولا اتساع الصلات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية ، لكانت أزمة التجارة العالمية أكثر تدميرا بدون شك • لقد كانت الازمة والمنافسة الممتدة بين الاحتكارات سببا فى الارتداد الصريح الى نزعة الحماية فى سياسة التجارة الخارجية للبلدان الرأسمالية ، وفى هذا مايشير الى أن ميكانيزم تقسيم العمل الدولى قد اختل لدرجة كبيرة •

كان نمو البطالة شيئا ملازما على الدوام للازمات الدورية ، ولم تكن أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ استثناء فى هذا الخصوص • ففى كافة البلدان الرأسمالية الرئيسية كانت البطالة تتزايد بسرعة • ولاول مرة خلال عقود ، تشهد ألمانيا الغربية واليابان فترة عمالة جزئية وبطالة واسعة وطويلة • ومع ذلك ، كانت حالة سوق العمل غير عادية ، لأن البطالة بدلا من أن تتلاشى ، انتشرت لفصائل جديدة من الجماهير العاملة فى طور الانتعاش •

وسمة مميزة للازمة الاقتصادية لعام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ هى التخريب الحاد لعمليات اعادة الانتاج نتيجة للنمو السريع فى أسعار النفط والمواد الخام والمواد الغذائية • والاسباب السياسية الاقتصادية لازمات الطاقة والمواد الخام والغذاء تضرب بجـــذورها فى التغير العميق فى العـــلاقات بين البلدان الامبريالية الاستعمارية السابقة وبين البلدان النامية •

وكشفت الازمة كذلك عن عدم جدوى الادوات المتاحة أمام تنظيم احتـكار الدولة للاقتصاد • اذ لم تقدم أى من التنبؤات الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة الاجل للنظرة الى السوق ، وأى من عمليات البرمجة ، أو « العمل الدؤوب » النتائج المرجوة ، واثبتت عدم صلاحيتها جميعا أمام السيادة العشوائية لقوى الاقتصاد الرأسمالى •

وأحد السمات الاخرى لازمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ هو أن ظاهرة الازمة انتشرت من المجال الاقتصادى الى المجال السياسى بشكل أسرع وأكثر مباشرة • وزادت حدة عدم اســـتقرار المجتمع البرجوازى نتيجة لعدم الاســـتقرار الاقتصادى والاجتماعى ، وزيادة حدة الصراع الطبقى ، واستمرار استقطاب الطبقـات • ويواصل الوضع السياسى الداخلى عدم استقراره ولا يستطيع النظام البرلمانى البرجوازى أن يقوم بوظائفه كما كان يفعل ذات يوم •

وكل تلك الظـواهر تؤكد أن أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ لم تكن أزمة دورية « معتادة » ، وانما تعدت هذا الاطار • فالاثر « الكلاسيكى » للازمات هى أن تقلل بشكل مؤقت وجزئى من التناسب الذى تدعم فى الوحـدات المختلفة للاقتصاد وأن تعيد التوازن بين الانتاج والاستهلاك • وهذا مالم تفعله الازمة الاخيرة الا جزئيا فحسب وبدرجة أقل حسما بالمقارنة مع الازمات السابقة •

ورغم أن معظم البلدان الرأسمالية كانت قد انتقلت بالفعل عام ١٩٧٦ الى طور الانتعاش ، ووصل الانتاج الصناعى فى البـلدان الرأسمالية الرئيسية والتجارة الرأسمالية العالمية الى مستويات ماقبل الازمة ، بل وحتى تخطاه ، فان آثار أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ماتزال محسوسة •

وبالمقارنة بالازمات السابقة ، فشلت تلك الازمة فى حفز الاستثمار من أجل توسيع الانتاج ، ومســاعدة التغلب على الازمات البنيوية وأزمة الغذاء ، أو التخلص من الازمة فى تقسيم العمل الدولى الرأسمالى • ويبين التحليل أن عقدة التناقضات والنزاعات لابد وأن تمارس تأثيرا عميقا على التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للرأسمالية خلال فترة طويلة نسبيا ، تسعى الرأسمالية أثناءها الى ملاءمة نفسها مع الظروف الجديدة •

وخلال مجرى أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، وبدرجة ملحوظة فيما بعد ، ظهر عدد من الجوانب الجديدة في التكتيكات البرجوازية ، يعكس مخططات استراتيجية طويلة الامد للبرجوازية الاحتكارية تهدف الى المحافظة على مواقعها وسلطتها وزيادة تعزيزها ، ومضاعفة الارباح • وعلى الطبقة العاملة وتنظيماتها السياسية أن تضع هذه المخططات فى حسابها •

وترتبط هذه الجوانب الجديدة في المحل الاول بحقيقة أن عمليات تحقيق الارباح والاحتــكار قد اكتسبت نطاقا دوليا جديدا • فاحتــكارات البلدان الصناعية قد حصلت على مزايا لم يسبق لها مثيل من دورة رأسمالها على أساس نمو سريع للارباح ، التى ارتفعت الى مستويات قياسية خـلال وبعد الازمة • وينطبق ذلك أولا على الاحتكارات العاملة فى صناعة السـيارات والكيماويات والهندسة الكهربائية ، أى ، تلك التى تنتمى الى المجموعات الاحتكارية التى تشارك بصورة أو بأخرى فى التجمع العسكرى الصناعى • وحتى وفقــا للمعطيات الرسمية ، فى ١٩٧٦ ، زادت أرباح الاحتكارات الصناعية الامريكية فى المتوسط ٢٩٪ • وفي جمهورية ألمانيا الفيدرالية زادت عوائد الارباح التى تدفعها الشركات المساهمة حوالى ٣٫٠٠٠ مليون مارك • وزادت أرباح ١٠٠ من الاحتكارات الصناعية الرئيســية فى جمهورية ألمانيا الفيـدرالية من اجمالى ٤٤٫٧٠٠ مليون مارك عام ١٩٧٥ الى ٥٤٫٣٠٠ مليون مارك عام ١٩٧٦ •

وتحصل الاحتكارات على أرباحها الخيـالية لدرجة كبيرة من اعانات الدعم التى تقدمها الدولة ، والتى تصل الى بلايين الماركات ، ومن تدابيرها المحـكمة لترشيد الانتاج والادارة ، ومن تحكمها فى سياسة الاسـعار • ويعتبر تزايد

السيطرة على النشـاط الاقتصادى من قبل البنوك الاحتكارية الرئيسـية هاما للغاية فى زيادة الارباح • وفى الفترة من ١٩٧٤ الى ١٩٧٦ ، زادت سرعة تركيز الانتاج ورأس المال بدرجة كبيرة نتيجـة للتركز السريع الخطـا لرأس المال وابتلاع المنافسين الاضعف • وكان هناك نمو ملحوظ للاتجاه نحو الاحتـكار حتى فى قطاعات من الاقتصاد كانت المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تشـكل قسما كبيرا نسبيا منه • وفى تلك الفترة بلغ عدد عمليات الاندماج فى ألمانيـا الفيدرالية ٤٠٦ فى المتوسط فى السنة ، وهو مايزيد ٥٠٪ عن أرقام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ « ٢٥٩ » • كما تضاعف على وجه التقريب عدد الافلاسات « ٨٫٧٦٠ فى المتوسط فى السنة » بالمقارنة مع فترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ « ٤٫٦٨٢ » •

ان تركيز الانتاج ورأس المال على مستوى دولى قد اتخذ أبعاد لم يسبق لها مثيل : ان ٦٥٠ احتكار صناعى كبير « تزيد أصوله عن ١٠٠٠ مليون دولار » تسيطر الان على ٦٠٪ من تجارة العالم الرأسـمالى « وثلثها على الاقل عمليات تجارية بين الاحتكارات » بينما تتحكم أربعة احتكارات دولية عملاقة فى ١٠٪ من اجمالى مبيعات هذه الاحتكارات • وفى غرب أوربا بلغ التركيز أقصى مداه فى صناعة المعادن ، وتكرير النفط ، وصناعة الطائرات ، وأشباه المواصـلات • واستخدام الاحتكارات لآخر منجزات الثورة العلمية والتكنيكية ، وبخاصة فى الالكترونيات الدقيقة ، يساعد كذلك على دفع تركيز الانتاج ورأس المال • ولما كانت الظواهر الدورية تتشابك بشكل متزايد مع الازمة العامة للرأسمالية ، فان هناك عدم اسـتواء متزايد فى تطور الاحتكارات ، مع تغييرات دائمة فى مكانتها وظهور تناقضات جديدة بين الاحتكارات الرئيسية متعددة الجنسية • بيد أن السعر المتزايد بحدة الذى يجب على الاحتكارات أن تدفعه للمخاطرة فى ظروف التقدم العلمى والتكنيكى يجبرها على السعى الى الانفاق والمساومة • لقد حاولت البرجوازية أن « تنظم » العلاقات الطبقية ، جزئيا من خلال سياستها القائمة على « العمل المنسق » أو « العقـود الاجتمـاعية » (ألمانيا الفيدرالية ، وبريطانيا ، والسويد ، والنمسـا ، والدانمرك) وجزئيا من خلال البرمجة الاقتصادية « فرنسا ، ايطاليا ، وهولندا » •

وسوف تؤدى الاتجاهات نحو تكثيف تنظيم احتكار الدولة على المستويين القومى والدولى الى مزيد من تباين الادوات ، التى تميل لدرجة كبيرة الى تقويض بعضها البعض • وبهذه الطريقة فان العـلاقة المتناقضـة بين التنظيم والعمل الحر بقوى السوق ، وهو الشىء الكامن فى رأسمالية احتكار الدولة ، انما يزود بدفعات وأشكال حركة جديدة • والتنظيم على نطاق دولى ، وهو ماتسعى الدول الامبريالية الرئيسية الى ممارسته ، هو محاولة لملاءمة المرحلة الجديدة والارقى لتدويل الاحتكار الخاص للحياة الاقتصادية ، الذى يحدده توسع الاحتكارات الدولية • بيد ان مثل هذا النوع من التنظيم لن يساعد فى التغلب على ثنائية الاحتكارات الدولية وما يرتبط بها من تناقضات •

والتحرك الحالى من طور الازمة لايعنى على الاطلاق أن تشابك الازمة العامة المتفاقمة للرأسمالية والتطور الدورى للاقتصاد الرأسمالى مشكلة أمكن تخطيها •

فهناك ماهو أكثر من مجرد تواكب طويل نسبيا فى زمن الازمات العامة والنسبية الاخيرة وتفاعلها المتبادل • وفى الحقيقة ، فتلك ظاهرة جديدة النطاق تماما ، يتجه تأثيرها الى الانتشار ليس فقط الى الدورة الاقتصادية الجديدة التى بدأت ، وانما الى نطاق أبعد ، الى التطور الاقتصادى للرأسمالية فى مجموعها •

ولهذا ، على ما أعتقد ، فهناك مايدعو الى اعتبار الوضع الحالى كنقطة تحول ، وأن تميز سمات جديدة نوعيا فى التطور الاقتصادى وبالتالى ، السياسى والايديولوجى للرأسمالية .

ونظرا للتشابك الواسع ، فان الدورة الاقتصادية الجديدة تتشكل بصعوبة كبيرة وبخطا بطيئة • والخروج من الازمة يستغرق وقتا أطول ويتميز بعدم الاستقرار ، ويتسم بالكساد وحتى بتدهورات هامة • وربما كان عدم الاستقرار المتزايد هو السمة المميزة للوضع الراهن • ومع ذلك ، فاننا لانهون بأية حال من أنه فى النصف الاول من ١٩٧٧ زاد اجمالى الناتج القومى ٥٪ ، والانتاج الصناعى ٦٪ ، والتجارة الخارجية ٨٪ • وماتزال للرأسمالية بدون شك امكانات اقتصادية هامة ، بيد أن الخروج من الازمة يزيد من بطئه على الدوام الازمات فى الصناعات الهامة « الصلب ، المنسوجات ، بناء السفن ، الانشاء » والبطالة التى ارتفعت لارقام قياسية ، والعجز الذى لم يسبق له مثيل فى الميزانية ، والتشويهات فى موازين التجارة والمدفوعات ، والتضخم المستمر وحالة الفوضى التى تسود النظام النقدى العالمى للرأسمالية •

ووفقا لتقديراتنا ، فان معدل النمو الاقتصادى ، وبخاصة النمو الصناعى ، سيقل فى أغلب الاحتمالات عن معدلات الخمسينات والستينات • لقد قامت أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ بوظيفتها « الكلاسيكية » جزئيا فحسب ، بدون أن تخلق حافزا لانتعاش أقوى • وبالاضافة الى ذلك فان كثيرا من العوامل التى ساعدت على زيادة معدل النمو فى هذين العقدين كفت عن أن يكون لها تأثير •

وبينما تزايدت حدة الطلب على وسائل الانتاج خلال الفترة الاخيرة « وبخاصة فى الولايات المتحدة وجمهورية المانيا الفيدرالية » فاننا نتوقع انتعاشا أقل كثيرا للاستثمار الخاص ، وبخاصة لتوسيع الاصول الثابتة ، بالمقارنة مع أطوار الانتعاش الدورية السابقة • واذا ماوضعنا فى الاعتبار أن تحميل الطاقات الانتاجية قد توقف بالفعل عند مستوى منخفض نسبيا ، فان نمو الاستثمار الى توسيع للطاقات ، اذا ماحدث على الاطلاق ، لابد وأن يتخلف عن الاستثمار الى تحسين الانتاج أو مايسمى بالترشيد •

وخلال أزمة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، وبخاصة فيما بعدها ، بذلت جهود كبيرة فى البلدان الرأسمالية الصناعية لتحقيق ما يشبه التقدم السريع الخطا فى التقدم العلمى والتكنيكى والاستفادة القصوى من منجزاته فى الانتاج ، مؤديا بذلك الى تحسين هيكله فى الاساس • ان التعمير التكنيكى لصناعات بأكملها ، وأساسا

من خلال ادخال آخر التجهيزات الالكترونية والحاسبة ، زاد لدرجة كبيرة من طاقة الانتاج • وهكذا أنتج مزيد من السلع يبلغ ٢ر٧٪ فى المانيا الفيدرالية ، عام ١٩٧٦ ، بقوة عمل تقل ٥ر٢٪ • وخلال هـــذا العام ارتفع انتاج الفرد فى الساعة فى الصناعات التحويلية كما يلى : الولايات المتحدة ٥٪ ، اليابان ١٣٪ ، ألمانيا الفيدرالية ٧٪ ، فرنســـا ١٢٪ ، وايطاليا ٧٪ • وفى جمهورية ألمانيا الفيدرالية زاد الانتاج لكل عامل مستخدم ٣ر١٧٪ فى الصناعات الكيماوية ، ٧ر١٧٪ فى الحاسبات ، ٨ر١٢٪ فى الهندسة الكهربائية •

وهذا دليل على محاولات احتكار الدولة الرأسمالية لان يعوض لاقصى درجة الخسائر فى الارباح الناجمة عن تدهور نمو الانتاج الصناعى يجعل الانتاج أكثر كفاءة ، وتكثيف عمليات الانتاج ، وفى المحل الاول تكثيف استغلال الجماهير العاملة • ويشير ذلك الى تغير فى ظروف اعادة انتاج رأس المال تحت تأثير التقدم العلمى والتكنيكى فى ظل الرأسمالية • ان زيادة انتاجية العمل ، فى المحل الاول ، فى صناعات النمو ، قد صاحبها استغلال مكثف وامتداد الازمة السياسية الاجتماعية • وترمي البرجوازية الى القاء عبء التكاليف المترتبة على مشاريع زيادة الكفاءة ، والازمة ، على عاتق الجماهير فى الداخل •

والترشيد على النمط الرأسمالى يعنى تقلصا مطردا فى عدد الوظائف • والتطور الجديد للرأسمالية يتمثل فى انه ، حتى وفقا للمعطيات الرسمية ، تكون البطالة فى طور الانتعاش وحتى فى طور الازدهار أعلى مما كانت عليه فى أدنى درجات الازمة • والبطالة المزمنة ، الناجمة عن زيادة تراكم رأس المال ، ووقف الانتاج ، و « ترشيده » والتغييرات الهيكلية فى الاقتصاد وعملية التقدم نحو الاحتكار ، هى سمة أخرى دائمة للتطور الرأسمالى • ويعنى هذا بالطبع هجوما على حقوق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الاخرى ، وانخفاضا للاجور الحقيقية وزيادة فى كثافة العمل •

ولدى الرأسمالية وصفة واحدة ، سواء واجهت أزمة دورية أو نزاعا مزمنا ، وهى أن تزيد الاستغلال من خلال الترشيد ، وتمارس ضغطا على الاجور ، وتفرض نهبا قاسيا على العمـــال والموظفين ، وتهاجم مكتســـباتهم الاجتماعية ، وتقوم بمحاولات سياسية وأيديولوجية لتحقق تكاملا « نهائيا » للطبقة العاملة فى اطار النظام القائم • وبالاضافة الى ذلك ، فان الدوائر الاحتكارية اذ تعترف بالحاجة الى التوسع الاقتصادى وتحقيق فعالية اقتصـــادية عالية ، انما تدفع الدولة البرجوازية الى مشاركة أكثر نشاطا وفعالية فى عملية اعادة الانتاج الرأسمالى ، وخفض المخصصات للحاجات الاجتماعية وزيادة الضرائب • وتسير ســـياسة الحكومة جنبا الى جنب مع اندفاع رأس المال الاحتكارى لتغيير الميزان بين التراكم والاستهلاك فى الدخل القومى وتعديل هيكل استخدامه على حساب الجماهير •

وفى نفس الوقت ، ماتزال الرأسمالية تواجه مشاكل التضـــخم الخطيرة وأزمة النقد • وفى المســـتقبل ، ربما يتذبذب معدل التضـخم وحتى ينخفض

مؤقتا ، بيد أن زيادة الاسعار ستظل عاملا دائما فى حياة المجتمع الرأسمالى الذى يحدد جوه السياسى والاجتماعى ٠

وديون الدولة مشكلة ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة التضخم ٠ ان ايرادات حتى أكثر الميزانيات « ثباتا » فى الدول الامبريالية قد نقصت منذ فترة طويلة عن نفقاتها بسبب البنود التقليدية المعروفة مثل اعانات دعم الشركات التى تعمل فى صناعات « غير مربحة » لرأس المال الخاص ، والامتيازات الضرائبية الضخمة للاحتكارات والانفاق العسكرى ٠ ولهذا السبب ، فعلى الرغم من الوعود التى تطلقها الحكومات المسئولة والاحزاب البرجوازية المعارضة عن خفض ديون الدولة فى البلدان الرأسمالية ، قد يتوقع المرء استمرارها فى النمو ٠ والدول الامبريالية تتطلع الى ضرائب أعلى على الجماهير والحد من الحقوق والحريات السياسية الاجتماعية التى كسبتها الجماهير العاملة ٠ وتمويل الدولة يصبح بشكل متزايد أحد المجالات الرئيسية للنزاع السياسى والاجتماعى ٠

وأزمة تقسيم العمل الرأسمالى الدولى لابد وأن تستمر كعامل يحدد تطور الرأسمالية لبعض الوقت ، بسبب التناقضات الثابتة بين الامبريالية العالمية ، ممثلة فى الدول الامبريالية الرئيسية ، التى ترفض أن تسكت على خسارة مواقعها فى العالم الثالث ، واندفاع معظم البلدان النامية لكسب استقلالها السياسى والاقتصادى ٠

ان التنافس والمنافسة المتصاعدة بين الامبريالية تتجه الى احياء سياسة الحماية لاحتكار الدولة «التى بدت أنها مفارقة تاريخية» . وتستمر الصدامات بين البلدان الرأسمالية فى مجالى التجارة والنقد ، فى غاية الحدة ، مؤدية الى عقد تناقضات جديدة ناجمة عن تزايد النزاع بين الاحتكارات متعددة الجنسية وبين الدول البرجوازية ، والى احتداد الصراع التنافسى بين العمالقة الاحتكاريين ، والصدام بين دوافع الاحتكار الخاص وبين مصالح النظام الاقتصادى الدولى للرأسمالية فى مجموعه ٠

وأحد أشد النتائج وضوحا لعدم الاستقرار الاقتصادى للرأسمالية هى الازمة المترتبة على ذلك لسيطرتها السياسية والتناقضات المتصاعدة بين السياسة الاقتصادية الاجتماعية للمجتمع الرأسمالى وبين مصالح جماهير الشعب واحتياجات التقدم الاجتماعى ٠ ولقد أثبتت البرامج الاصلاحية الواسعة ، التى روجت لها على نطاق واسع منذ بعض الوقت الحكومات الاشتراكية الديموقراطية والاشتراكية الليبرالية ، التى تود لو « أصلحت الرأسمالية » ، أثبتت عجزها ٠ والاحتكارات تستفيد من الازمة ، لتمارس ضغطا قويا على الحكومات وتدفعها الى التخلى عن البرامج المطلقة ٠ وضاقت القاعدة السياسية للحكومات الاشتراكية الديموقراطية نتيجة لاجراءاتها غير الشعبية ٠ لقد وجدت بعض الاسباب لتحول مواقف بعض أقسام السكان ، بما فى ذلك الجماهير العاملة ، نحو اليمين ٠

وفى نفس الوقت ، فان الطبقة العاملة ، اذ ترد هجوم الاحتكارات ضد

الحقوق الاجتماعية والديموقراطية للجماهير العاملة ، تقوى من نضالها • وفى الفترة ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ ، شارك ٨ر١١ مليون من الجماهير العاملة فى غرب أوربا فى الاضرابات ، وفى ١٩٧٦ شارك ٨ر١٥ مليون • وكنتيجة لذلك فان سياسة الدولة البرجوازية الاقتصادية والاجتماعية ، كتعبير عن تنظيم احتكار الدولة ، تصبح بشكل متزايد ســـاحة للنزاع الطبقى • ويتمثل أحد الحلول السياسية الهامة التى تقدمها الجماهير العاملة فى وضع حد للتخفيضات الضخمة التى أعدتها الاحتكارات فى دخول الجماهير العاملة الحقيقية • كما يجب المحافظة كذلك على المكاسب الاجتماعية الاخرى فى الاساس •

وليس هناك شك فى أن البرجوازية تستمر فى كونها معارض قوى ومجرب للبروليتاريا وكل الجماهير العاملة الاخرى • وفى جهودها لمواجهـــة الازمة ، ناورت البرجوازية على الدوام وغيرت تكتيكاتها . بيد أن كل نشاطها قد تركز ، بالطبع ، على الجهود من أجل تعزيز مواقعها والحد من اندفاع الجماهير نحو الاشتراكية •

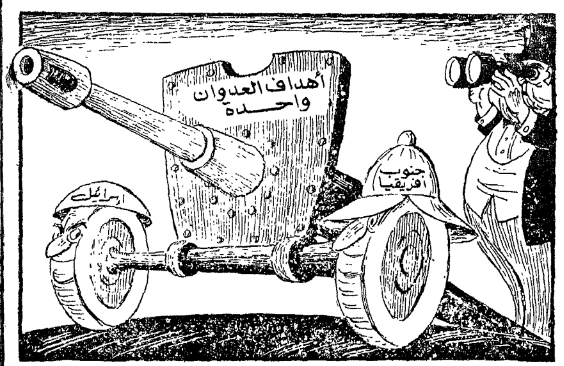
ان تشابك الازمة العامة التى تزداد عمقا للرأسمالية مع تطورها الدورى ، الذى يعتبر الان عاملا دائما ، يدل على أن ظروفا جديدة قد نشأت لنضال الطبقة العاملة ، وطليعتها وحلفائها • ويبين محتوى ونتائج المعارك الطبقية التى دارت فى الفترة الاخيرة • أن الطبقة العاملة تضع فى حسابها بشـــــكل متزايد الظروف الجديدة •

وفى المدى الطويل ، فان تطور عمليـــات الازمة ، فى ارتباطها باستراتيجية رأس المال الاحتكارى المعادية للشعب ، يمكن أن يعرض للخطر مكاسب الجماهير وحقوقها وحرياتها • ولهذا السبب تولى أهمية كبيرة لنضال الجماهير ، على أن تلعب الطبقة العاملة وطليعتها الدور القيادى ، من أجل اجراء تغييرات جذرية فى العلاقات الاجتماعية •

والاشتراكية القائمة تستمر كأقوى حليف لهم فى هذا النضال • فنفوذها الموضوعى بالمعنى السياسى والاقتصادى والاجتماعى لا حدود له • وميزان القوى الذى تغير لصالح السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعى والاشتراكية يؤثر بشكل نشط على المعركة الطبقية فى البلدان الرأسمالية ، ويساعد فى بعض البلدان على توسيع الامكانات الواقعية لهجوم تقوم به الجماهير العاملة من أجل ردع سلطة رأس المال الاحتكارى فى الاقتصاد والسياسة ، ولكى تجد مخرجا ديموقراطيا من الازمة •

●

● كاريكاتير ●



تحالف النظم العنصرية — م. ابراموف

●●●



القنبلة نظيفة ولن تقتل إلا الآدميين — م. ابراموف

المرحلة الحاسمة للنضال في جنوب أفريقيـا

أجرى مندوب المجلة حديثا مع كل من رؤساء منظمات التحرير الوطنى لثلاثة بلدان فى جنوب القارة الافريقية : أوليفر تامبو من المؤتمر الوطنى الافريقى فى جنوب أفريقيا ، وسام نوبوما من المنظمة الشعبية فى جنوب غربى « ناميبيا » ، وجوشـوا نكومو من اتحاد شعب ريمبابوى الافريقى الذين تحـدثوا عن التغييرات فى الاوضاع العامة فى بلدانهم منـذ صيف ١٩٧٦ والتى تميزت فى جنوب افريقيا ، مثلا ، بأحداث سـوتيو . واشاروا الى أن نضال شعوبهم قد ارتفع الان الى درجة جديدة ودخل مرحلة حاسمة . ثم أجاب كل من أوليفر تامبو وسام نوبوما وجوشوا نكومو عن أسئلة مندوبنا .

جنوب أفريقيا بعد سويتو

بقلم : أوليفر تامبو

أصبحت الاحداث فى سوتيو وغيرها من مناطق جنوب افريقيا علامة هامة على طريق تطور النضال التحريرى • ومن أجل فهم صحيح لاهمية هذه الاحداث وتأثيرها على مستقبل حركتنا لابد من النظر فيها باعتبارها ظاهرة من ظواهر المستوى الثورى الجديد الذى ارتقت اليه الان مواجهة الامبريالية ، ليس فى جمهورية جنوب افريقيا وحدها بل وفى افريقيا الجنوبية بكاملها •

كان لانهيار الاستعمار البرتغالى الى جانب النضال المسلح وغير المسلح الذى يقوده المؤتمر الوطنى الافريقى أهمية حاسمة بالنسبة للحركة التحريرية فى جنوب افريقيا • ونشير بشكل خاص الى استقلال موزمبيق ونشوء دولة وطنية مستقلة على تخوم جنوب افريقيا والى انتصار الحركة الشعبية لتحرير أنجولا على قوات الغزاة من جنوب أفريقيا • وقد مارس هذا الانتصار تأثيرا تعبويا عظيما على جماهير السكان فى جنوب افريقيا • وفى الفترة نفسها ازدادت الطاقة الكفاحية لحركات زيمبابوى وناميبيا التحريرية الوطنية التى تخوض نضالا مسلحا فى سبيل الاستقلال ويشتد زحفها على قوات سميث وفورستر العنصرية •

ان أحداث سوتيو وغيرها تنسجم مع المرحلة الجديدة التى وصلت اليها حركة التحرر الوطنى فى افريقيا الجنوبية وتستجيب لمقتضياتها • ويمكن القول أن نضالنا فى جنوب أفريقيا قد بلغ ، بعد أحداث سوتيو ، مستوى يماثل مستوى النضال فى بلدان أفريقيا الجنوبية الاخرى التى لم تحقق استقلالها بعد . ونشير بهذا الصدد الى أن عدد المناضلين الذين سقطوا فى بلادنا فى المعارك ضد نظام الحكم خلال الثمانية عشر شهرا التى مضت على احداث سوتيو يساوى تقريبا عدد الأنصار الذين استشهدوا فى الفترة نفسها فى زيمبابوى وناميبيا •

كان نضالنا يتطور باتجاهين رئيسيين أهمهما هو تعبئة الجماهير من العمال والفلاحين والشباب والاتجاه الثانى هو تشديد الاعمال المسلحة • ففى عام



١٩٧٣ اقترنت النضالات الجماهيرية التى شارك فيها العمال والشباب بعمليات الوحدات العسكرية التابعة للمؤتمر الوطنى الافريقى مع التنسيق الواضح لتوقيتها ، الامر الذى يدل من جهة على تأييد الجماهير للنضال المسلح الضرورى لاجل تحقيق الانتصار النهائى ، ومن جهة أخرى – على أن منظماتنا السرية تستند الى تأييد جماهير الشعب ٠

خلال سنوات طوال كان نظام حكم فورستر يحاول أن يعرقل مثل هذا التنسيق ومثل هذا الاتحاد وذلك باللجوء الى مختلف اجراءات القمع ، من الاعتقال لفترات طويلة بدون تحقيق أو محاكمة ، الى الاغتيال والاعدام ٠ وكثيرا ماكان ضحايا هذه العمليات هم الشباب ٠ غير أن اشتداد النضال واتساع مداه تزايد باستمرار ٠ ففى خريف ١٩٧٧ ، أصبح نظام حكم فورستر يواجه ، فى غضون بضع أسابيع ، هجوما شعبيا متعاظما ٠ ولجأ فورستر ، بعد أن أدرك أن النشاطات الجماهيرية المضادة للحكومة قد تجاوزت نطاق سيطرته الى تشديد عمليات القمع ٠ فقد فرض الحظر على عدد من المنظمات والصحف المعتدلة ومنع نشاط بعض الاشخاص السياسيين والاجتماعيين ثم ألقى القبض على نفر منهم ٠ وكان من غير الممكن ألا يدرك أن مثل هذه التصرفات لابد أن تثير استنكار الرأى العام العالمى وأن تؤدى الى تعميق عزلة نظام الحكم وأن تجعل حتى الدول الامبريالية تدينه ، ادانة شكلية على الاقل ٠

غير أن تجريد المنظمات السياسية والاجتماعية من الصفة الشرعية لايعنى

الا اجبارها على القيام بعمل سرى ولا يترك لها شيء سوى حمل السلاح ضد نظام حكم فورستر . وهكذا يؤدى تشديد القمع الى تشديد النضال مما يمخض بدوره عن عمليات قمع اقسى من ذى قبل . وعلى كل حال فاننا نعتبر هـــذا الوضع عاملا ايجابيا : فقد اصبح العدو فى حالة من الارتباك الملحوظ . وتنفتح امكانات جديدة لتشديد النضال على كافه المســتويات وفى كافة المجالات . وتنخرط فى النضال اعداد متعاظمة من الناس . ويجرى انعطاف جذرى فى مزاج الشعب فى جنوب افريقيا .

ان المؤتمر الوطنى الافريقى مدعو الان الى أن يبذل كل جهوده بهدف تعزيز اندفاع النضال والهجوم على نظام الحكم . وينبغى تنشيط الاعمال المسلحه وتسديد الضربات الى العدو من كل حدب وصوب . ولا يمكننا فى هذا السياق الا أن ننوه بأننا نعلق أهمية عظيمة على التأييد العالمى وبخاصـة فى شكله المادى .

ان العدو لم ينهزم بعد ، وان كان الموقف مواتيا لنا . ففى داخل جنــوب افريقيا تبذل جهود مستمرة لتقسيم صفوف القوى المناضلة من أجل تحقيق تغييرات ثورية . ولاول مرة فى تاريخ استغلال السكان الاصليين ، يشــجع نظام الحكم تكوين برجوازية سوداء ، سواء فى الارياف حيث انشىء مايسمى بالبانتوستانات (١) أو فى المدن . فما ذلك الا محاولة لخلق وسط « ممتص للصدمات » بغية تخفيف الضربات التى تنزلها الطبقة العاملة بالنظام الرأسمالى فى جنوب أفريقيا .

ومن المعروف أن نظام البانتوستانات يرمى الى تشتيت صفوف الجماهير المستغلة والمضـــطهدة التى يحصرونها فى كيانات قومية ضعيفة ســـياسيا . والنتيجـة المتوقعة هى أن يغدو استغلال الشـــعب بأسره على جانب أكبر من السهولة وأن تصبح « الحكومات المستقلة » للبانتوستانات منفذة مباشرة له .
ويخطط نظام حكم الاقلية البيضاء لانشاء « برلمانات » منفصـــلة وبالتالى ضعيفة وقاصرة ، لسكان جنوب افريقيا من الاصل الهندى والسكان « الملونين » وذلك سعيا وراء الاغراض نفسها ، أغراض تشتيت الجماهير المظلومة .

ولتحقيق هذه الخطط يحتاج فورستر الى وقت . ويحتاج حماته الامبرياليون كذلك الى وقت كى يتلاءموا مع التغيرات الناجمة عن الزحف الثورى المتنـامى بسرعة فى جنوب افريقيا . وهذه حقيقة أخرى تفسر لماذا يعتبر المؤتمر الوطنى الافريقى تشديد النضال ضرورة مطلقة فى المرحلة الراهنة .

والمؤتمر الوطنى الافريقى على يقين بأن الحركة الثورية فى زيمبابوى وناميبيا ستشدد هجومها على القوى العنصرية مما سيؤدى فى المستقبل القريب الى

---

(١) منـــاطق خاصة للقوميـــات الافريقية بدا نظام حكم فورستر يعلنهـــا « دولا مستقلة » .

انتصار شعوب هذه البلدان نهائيا . وهـــذا هو عامل آخر يزيد من النقـة بالانتصار الحتمى للنضال التحريرى الذى يخوضه شعبنا .

● ألا يمكن أن يؤدى مشروع انشـاء « البرلمانات » للهنود و « الملونين » الى تضليل أبناء هذه الجاليات ؟

ــ طبعا ، انه يوجد خونة كذلك بين المظلومين والمستغلين . طبعا قد يكون هناك ثمة هنود و « ملونون » ممن سيتعاونون مع العـدو لاغراضهم الانانية وسيؤيدون سياسة فورستر الرامية الى تكريس استعباد شعوبهم ، وقد يظن بعضهم : أن شيئا أحسن من لاشيء .

غير أنه حتى ممثلى الهنـود و « الملونين » فى جنوب أفريقيـا ممن يعملون « داخل النظام » ــ وأنا لا أشير هنا الى المشاركين فى الحركة الثورية ــ لايمكن أن يكونوا لا مبالين ازاء قضايا شعوبهم وغير شاعرين بالرياح الثورية التى تهب فى بلادهم . فقد نبذوا خطة فورستر ، ونوهوا عن حق وصواب بأن من شأن تحقيق هذه الخطة أن يكرس سيطرة الاقلية البيضـــاء ويزيد السياسة العنصرية قســـوة . ذلك أن خطة فورستر تستهدف فصـــل وعزل الهنود و « الملونين » عن أغلبية سكان البلاد وتسخيرهم بالتالى لخدمة الاقلية البيضاء .

وانى لعلى يقين بأن عملاء العنصريين والامبرياليين هم الذين سيوافقون على خطة فورستر ، وليس جماهير السكان . فكل منظمات الهنود و « الملونين » تفضح هذه الخطة ، ولا يناضل ضدها المؤتمر الوطنى الافريقى وحده ، انما يناضل ضدها مثلا حزب العمال الملونين الذى يمارس عمله قانونا . ويشارك « الملونون » والهنود في حركة التحرر الوطنى والحركة العمالية فى بلادنا . وان معارضتهم للسياسة العنصرية واضحة للعيان اذ أنهم يقفون ضد كل نوع من أنواع تشكيلات « الدولة » العرقية والعنصرية .

● مارأيكم فى مايسمى ب « استقلال » البانتوستانات ؟

ــ ماذا يعنى استقلال « البانتوستانات » ؟ انه يعنى امتيازات للقلة ــ بيوت فخمة وسيارات فارهة وغير ذلك .ولكن الجماهير الشعبية لاتستفيد شيئامن مثل هذا الاستقلال . فسكان البانتوستانات عاطلون عن العمل ، لايستطيعون « باستثناء حالات نادرة » أن يجدوا عملا فى مكان اقامتهم . وهم يضطرون الى الذهاب الى المدن التابعة الى الاقلية البيضاء وهناك أيضا لايجدون العمل فى حالات كثيرة،واذا وجدوا فبشروط شبه استعبادية. وليست«البانتوستانات» بقادرة على مساعدة سكانها فى التغلب على الفقر وفى الحصول على التعليم الخ ... وعلى العكس ، فان سكان البانتوستانات اذ يصبحون شكليا « مواطنين لدول مستقلة » يفقدون كل الحقوق فى جمهورية جنوب افريقيا بما فى ذلك حق الجنسية وحرية التنقـل وغير ذلك ، ويتعرضـــون لاشكال جديدة من

الاضطهاد لم يسبق لها مثيل • ويحصرون فى مناطق صغيرة بعد أن استطاعوا فيما مضى ان ينتقلوا على الاقل فى ربوع البلاد كلها فعلى سبيل المثال ، يخضع « مواطنو » ترانسكاى لقيود صارمة خارج حدود ترانسكاى ، أى فى كل الاراضى الاخرى لجمهورية جنوب افريقيا •

وفي الوقت نفسه ، من المهم التنويه بجانب آخر من هذا الوضع •فان سياسة هجرة العمال التى ينتهجها نظام حكم جنوب افريقيا ، معناها أن آلافا من الافارقة يطرد من المدن الى الارياف فى حين أن آلافا أخرى تضطر الى الذهاب الى المدن ، مما يؤدى الى أن تغتنى المناطق الريفية على الدوام بخبرة البروليتاريا النضالية والسياسية • فقد أصبح الافارقة المقيمون فى المناطق الريفية أنصاف بروليتاريين ، وهم يناضلون بنشاط ضد نظام البانتوستانات • وهذا يشكل عاملا هاما من عوامل تطوير النضال الثورى فى بلادنا •

● يجرى الكثير من الحديث فيما يسمى بالاوساط الليبرالية في جنوب أفريقيا عن « المعتدلين » من زعماء السكان السود القادرين ، اذا جاز التعبير ، على أن يساعدوا فى تخفيف التوتر ، أو أن يكونوا بمثابة ، ((صمام الأمان)) •

— انهم وسط آخر « ممتص للصدمات » يحاول النظام تكوينه • ولكنهم يظنون انه جاء متأخرا ذلك ان «الزعماء المعتدلين» لن يصمدوا فى وجه رياح الثورة التى لابد أن تجتاحهم ، وهذا مايحدث بالفعل • أما من الجهة الاخرى ، فان بعض هؤلاء الزعماء المعتدلين ممن أشاد بهم الليبراليون فى جنوب أفريقيا ، هم الذين ألقى القبض عليهم فى خريف ١٩٧٧ لان نظام الحكم لم يعتبرهم قادرين فى الاحوال الراهنة على أن يكونوا معتدلين بما فيه الكفاية •

وعلى وجه العموم ، وقعت الليبرالية فى جنوب أفريقيا فى أزمة • فلقد فقدت التفويض الذى كانت قد منحته لنفسها لكى تنطق بلسان الجماهير المظلومة والمستغلة • وأصبحت الجماهير تعبر عن نفسها بأعمالها وكثيرا مايكون ثمن ذلك أرواح أبنائها • أما أولئك الساسة الذين يريدون أن يحققوا مطامعهم الوصولية الشخصية عنطريق «تأييد مطالب المظلومين»فقداصبحوا بلا عمل • ومن هنا يأتى الارتباك فى صفوف « الاصلاحيين » فى جنوب أفريقيا وزوال حزب من أحزابهم وانشاء أحزاب جديدة محكوم عليها كذلك بالانشقاق والزوال • ان التناقضات فى صفوف الاستغلاليين تتفاقم مع اشتداد نضال الجماهير العاملة فى سبيل التحرر الوطنى والاجتماعى •

● تكتب صحف الدول الامبريالية كثيرا عن رجال الاعمال فى جنوب أفريقيا الذين قد يمارسون ضغطا على الحكومة ، بسبب حاجتهم الى تدفق قوة عاملة جديدة ورغبتهم بالتالى فى تخفيف التفرقة العنصرية بعض الشىء • فمارأيكم ؟

– ان رجال الاعمال « الليبراليين » فى جنوب افريقيا يعلقون آمالهم على بعض الاصلاحات الصغيرة التى من شأنها ، لو تحققت أن تساعد على وضع الامور فى نصابها أو ان تخفف من بعض القيود التى تفرضها التفرقةالعنصرية . وهم يظنون آن ذلك سيرضى الشعب لدرجة تتيح لجم الثورة . غير أنه لم يعد من الواقعى الآن ان يظن المرء ان نضالات «سوتيو» لم تستهدف الا تحسينات صغيرة واصلاحات تافهة . لو كان الامر كذلك لانتهى كل شيء فى يوم واحد، بعد أول اطلاق للرصاص . ولكن الصمود والعناد اللذين أبداهما الشعب يدلان على أنه يناضل فى سبيل تحرير كامل وليس ضد بعض ظواهر التفرقة فحسب ليس من أجل « استغلال مستساغ » ، وانما ضد كل أنواع استغلال الانسان للانسان .

لقد تجلى الان بوضوح أكبر المضمون الاجتماعى لحركة التحرر الوطنى فى جنوب أفريقيا ، لان سياسة نظام الحكم العنصرية تعنى أن أشد الناس تعرضا للاستغلال هم أشدهم تعرضا للاضطهاد القومى ، وهذا مايحدد المضمون الاجتماعى لنضالنا فى سبيل التحرر الوطنى .

● بعد اغتيال ستيف بيكو (١) وحظر المنظمات المعتدلةفى جنوب أفريقيا ، أثارت صحف الدول الامبريالية ضجة كبيرة وأدان بعض قادة حكوماتها نظام الحكم . فهل يعنى ذلك تغيرا فى جوهر مواقفهم من فورستر ؟

– ان الوزن المتزايد للرأى العام العالمى التقدمى الذى يعارض العنصرية ويؤيد النضال من أجل التحرر الوطنى ، يؤدى أكثر فأكثر الى عزل الدول الامبريالية التى تساند نظام حكم فورستر . فيتجلى بوضوح متزايد دورها كشريك فى الجرائم العنصرية بحق شعب جنوب أفريقيا . ويركز الرأى العام العالمى انتقاداته ، أكثر فأكثر ، على هذه الدول باعتبارها القوة التى تقف ، فى نهاية المطاف ، وراء الاعدامات فى سوتيو وغيرها من جرائم نظام حكم فورستر . ولا تريد الجماهير الشعبية فى هذه الدول أن تقف حكوماتها الى جانب أنظمة الاقلية البيضاء .

ولقد أصبحت باطلة حتى الحجج القائلة بضرورة حماية جنوب افريقيا بصفتها قلعة معادية للشيوعية ، وان كان نظام حكم جنوب أفريقيا مايزال يتشبث بها ، لا لشيء سوى فقدانه ماهو أفضل منها . لقد كان العنصريون فى جنوب افريقيا يعزفون على وتر معاداة الشيوعية فى غضون ربع قرن ، وهم لا يزالون يواصلون بيأس عزفهم حتى الآن . ولكن ما من أحد ، أينما كان ، يولى ذلك عمليا فى الظروف الراهنة اهتماما جديا .

---

(١) احد منظمى «حركة الوعى الاسود» التى دعت الى الاساليب السلمية لتغيير الوضع فى البلاد .

ومن جراء كل هذه العوامل ، تضطر حكومات الدول الامبريالية الى تصوير نفسها وكأنها مؤيدة للرأى العام العالمى فيما يتعلق بنظام حكم جنوب أفريقيا • ولذلك كانت تصريحات الاحتجاج والادانة بعد اغتيال ستيف بيكو واجراءات القمع الأخرى ، تعكس لدرجة معينة مشاعر بسطاء الناس فى تلك البلدان . وهذه المشاعر لاتختلف عن مشاعر الشعوب فى العالم أجمع • وهذا ، دون ريب ، دليل على تزايد القوة والنفوذ لدى القوى التقدمية على المسرح العالمى •

ولكل هذا جانب آخر • فالامبريالية تعجز الان عن تحطيم الثورة بالعنف والقوة كما فعلت في الماضى • ولكنها تحاول أن تسيطر عليها وتكبتها • واذا ما أخذت الامبريالية تتحدث « بلغة التحرر » فان بعض الناس يرون في ذلك « تبديلا للراية » • غير أن الخبرة تدل على أن المرء يمكن أن يهاجم التفرقة العنصرية وينعتها بكونها جريمة بحق الانسانية ، وأن يقدم اليها فى الوقت نفسه مساندة اقتصادية وسياسية • ولذلك فان أصوات الاحتجاج الصاخبة التى نسمعها فى الاونة الاخيرة من بعض الناطقين بلسان حكومات الدول الامبريالية لاتعنى بالضرورة أن هذه الدول كفت عن تأييد نظام الحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا •

•••

ناميبيا على عتبة الاستقلال

بقلم: سام نوبوما

لقد بلغ تطور الاوضاع السياسية فى ناميبيا مرحلة حاسمة • وهذا شيء واضح ، قبل كل شيء ، فى الدسائس والمناورات التى يلجأ اليها نظام الحكم العنصرى الفاشى فى جنوب أفريقيا بتأييد من الدول الامبريالية الرئيسية ، وذلك لانقاذ الوضع • وثمة عامل آخر هو تطور النضال فى زيمبابوى وجنوب افريقيا • ذلك أن المعركة من أجل تحرير ناميبيا لايمكن عزلها عن النضال التحريرى الذى يخوضه اخواننا واخواتنا فى سائر بلدان جنوب القارة • أما أنظمة الحكم العنصرية فهى بدورها تساند بعضها البعض على الدوام • ففى زيمبابوى مثلا لم يستطع نظام حكم سميث ان يصمد فى وجه الشعب كل هذه المدة الطويلة الا بفضل المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية المستمرة التى قدمتها اليه جمهورية جنوب أفريقيا •

وتؤيد الدول الامبريالية مناورات نظام حكم فورستر ودسائسه انطلاقا من مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية الانانية • فان لناميبيا ساحلا يمتد حوالى الف ميل ،وهو ذو أهمية استراتيجية ومياه غنية بالاسماك اما مناطق البلاد الداخلية فانها غنية بالماس واليورانيوم ومعادن أخرى • وتستثمرها كلها

شركات فوق قومية « متعددة الجنسية » تابعة للدول الامبريالية • وهى تقدم لهذا السبب مساعداتها الى نظام حكم فورستر بما فى ذلك الاسلحة والذخائر • ففرنسا ، مثلا ، هى أهم مصدر للاسلحة الى جنوب أفريقيا ، وقد زودت فورستر بهليوكوبترات من مختلف الأنواع وطائرات « ميراج » المطاردة وغواصات . وتضطلع سائر الدول الامبريالية بدور مماثل .

وتزعم الدول الامبريالية التى تقدم الاسلحة الى نظام حكم فورستر بأنها تعمل ذلك كى تتمكن جنوب افريقيا من الذود عن نفسها ضد هجوم خارجى • ولكن خبرتنا فى ناميبيا تشهد على أن الهيليوكوبترات والطائرات المطاردة التى حصل عليها نظام حكم فورستر لاتستخدم للدفاع ضد هجوم خارجى خرافى ، وانما تستخدم ضد جيش التحرير الشعبى الناميبى الذى هو جناح عسكرى للمنظمة الشعبية لجنوبى غرب أفريقيا ، أو بعبارة أخرى تستخدم فى قمع حركة الشعب بأسره التى تطالب باستقلال بلادنا وبحقها فى تقرير مصيرها بنفسها •

وفى هذه الساعة العصيبة لاترى المنظمة الشعبية لجنوبى غرب أفريقيـا بديلا سوى تشديد النضال • فعند مواجهة نظام حكم فاشى مثل نظام حكم فورستر لابد من استخدام قوة السلاح ، وهذا هو الطريق الوحيد والاكيد للقضاء على احتلال بلادنا غير المشروع •

ان النضال التحريرى فى جزء القارة الافريقية الجنوبى تكلل منذ مدة غير بعيدة بانتصارات احرزتها شعوب أنجولا وموزمبيق ، وغيرت هذه الانتصارات الوضع الجغرافى السياسى فى منطقتنا وخلقت ظروفا ملائمة للاعمال التحريرية فى البلدان التى مازالت ترزح تحت نير أنظمة الحكم العنصرية • ولا شك فى أن النضال الناجح ضد الاستعمار والفاشية والعنصرية يتطلب ، قبل كـل شىء ، تحطيم العمود الفقرى لقوتها الرئيسية ، المتمثلة فى نظام حكم فورستر • عندما كانت انجولا وموزمبيق تحت سيطرة الاستعمار البرتغالى وضـعها نظام حكم كاتيانو تحت تصرف جنوب افريقيا لمكافحة حركات التحـــرر فى بلدان افريقيا الجنوبية الاخرى • وكان يبدو آنذاك انجنوب افريقياا كبرقوة فى القارة لا يستطيع أن يتحداها أحد • ولكن جوهر الامر يكمن فى أن جنوب افريقيا استخدمت هذين الاقليمين كوسط ممتص للصدمات يحميها من موجة النضال التحريرى • أما الان فقد وصلت هذه الموجة الى حدود جنوب افريقيا بالذاتوأدى هذا ايضا الى تغيير الوضعفى ناميبياوزيمبابوى علىالسواء•اذ يحرز الانصار الابطال من المنظمة الشعبية لجنوبى غرب افريقيا فى كل يوم انتصارات على العدو • ويشدد اخواننا فى زيمبابوى هم ايضا من نضالهم • ومن جراء ذلك يزداد نظام حكم فورستر ارهابية مدفوعا باليأس والخوف • وهو يدرك أن خطر القضاء عليه اصبح يحدق به حقا وفعلا •

وفى ناميبيا أيضا يشدد نظام حكم فورستر اعمال القمع • فتحت تهديد

البنادق يجرى نقل الاف البشر من قراهم ، وبخاصة تلك القرى التى تقع على طول حدود انجولا ، الى ما يسمى بالقرى المحصنة (وما هى فى الواقع سوى معتقلات) • وفى ناميبيا ماتزال الحالة الاستثنائية والاحكام العرفية سارية المفعول وبموجب هذه القوانين يحق حتى للمجندين الجدد من ابناء جنوب أفريقيا أن يطلقوا النيران وأن يقتلوا كل من يظنونه « ارهابيا » أو انه يتستر على مكان وجود الارهابيين •

غير انه قد اصبح فى مقدورنا الان انزال ضربات جوابية • فان أنصار المنظمة الشعبية لجنوبى غرب افريقيا يعملون فى ثلاث مناطق لناميبيا هى المنطقة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية وينقلون عملياتهم الى المنطقتين الوسطى والجنوبية • كما جرت مهاجمة العنصريين فى فيندهوك ، عاصمة البلاد وفى ضواحيها وفى غيرها من المدن الكبيرة امثال جروتفونتاين وتسوميب وغيرها •

ان حزبنا ـ المنظمة الشعبية لجنوبى غرب افريقيا ـ يتمتع بشعبية فى كافة انحاء البلاد • لكنه لابد من الاعتراف طبعا ، بأن بعض العناصر وخصوصا قادة القبائل قد ضللوا أو رشاهم نظام حكم جنوب افريقيا العنصرى • فقد اجبروا على المشاركة فى المؤتمر الدستورى سيىء الصيت فى فيندهوك • بيد ان كثيرا من الضالين كفوا عن مؤازرتهم لهذا المؤتمر وانضموا الى المنظمة الشعبية لجنوبى غرب افريقيا ، لانهم اخذوا يدركون أنه لا يوجد فى ناميبيا سوى قوتين متصارعتين هما المنظمة الشعبية لجنوبى غرب افريقيا وجيش التحرير الشعبي الناميبى المناضل تحت قيادتها فى سبيل استقلال البلاد الوطنى وتصفية استعمار جنوب افريقيا من جهة ، أما من الجهة الاخرى ـ فنظام حكم جنوب افريقيا العنصرى الذى يعمل للابقاء على سيطرته الاستعمارية وتكريس اضطهاد شعب ناميبيا واستقلاله •

ولذلك فاننا لعلى يقين بأننا سنحرز فى أقرب وقت انتصارا حاسما وذلك بتأييد البلدان الاشتراكية بالدرجة الرئيسية ، وكذلك البلدان الافريقية والاوساط التقدمية فى العالم اجمع •

● ولكن نظام حكم فورستر يزعم بأن النضال المسلح الذى تخوضه المنظمة الشعبية لجنوبى غرب أفريقيا فى ناميبيا ينحصر فى المنطقة الصغيرة المسماة قطاع كابريفى ••

ـ صحيح اننا منذ ١٩٦٦ عندما بدأنا النضال المسلح ، ركزنا اعمالنا فى قطاع «كابريفى» المتاخم لزامبيا التى كانت آنذاك الدولة الافريقية المستقلة الوحيدة التى تجاور ناميبيا • ولهذا فان جنوب افريقيا احتفظت بقوات مسلحة كبيرة فى قطاع كابريفى • وكنا على أية حال ، نستخدمها للتسلل الى ناميبيا وتموين قواتنا العاملة هناك • ذلك أن أنجولا المجاورة كانت وقتئذ تحت سيطرة الاستعمار البرتغالى الذى تحالف مع نظام حكم جنوب افريقيا وحظى بمساندته

ولم يكن الوضع سهلا بالرغم من أننا كنا قد تعاونا فى الماضى مع الجبهة الشعبية لتحرير أنجولا واستخدمنا لدرجة معينة قواعدها ومواقعها فى أنجولا • أما الان ، بعد أن حققت أنجولا استقلالها فقد غدا بوسعنا أن نعمل فى عمق ناميبيا ونحرز نجاحات •

وينمو كذلك وعى شعب ناميبيا السياسى وينخرط الشباب والطلاب والعمال والفلاحين فى صفوف جيش التحرير الشعبى • واذا كانت وحداتنا فى عام ١٩٦٦ عندما بدأنا النضال المسلح ، ليست سوى فصائل فقد أصبحت الان كتائب • وازدادت القدرة القتالية لجيشنا وأصبح من الصعب على العنصريين أن يقاومونا • وهذا ما يمكن أن نقرأ عنه حتى على صفحات جرائد الحكومة الرسمية • فقد نشرت صحيفة «فيدهوك أدفيرتايزر» حديثا لضابط من جيش جنوب افريقيا كان يخدم فى قاعدة كانتيماموري فى الجزء الشرقى من قطاع كابريفى • فقد تعرضت تلك القاعدة البرية والجوية الكبيرة لجيش جنوب افريقيا ، لهجوم شنته وحدات جيش التحرير الشعبى الناميبى التى استخدمت مدفعية حديثة ومدافع بازوكا •

اننا عازمون كل العزم على مواصلة نضالنا المسلح حتى نطهر بلادنا نهائيا من قوى الفاشية والظلم والرأسمالية • ونعتقد أن هذا هو الطريق الثورى الوحيد الذى سيؤدى الى تشكيل حكومة ثورية فى ناميبيا تقوم على الاشتراكية العلمية .

● ما الذى تقولونه عن محادثات سفراء الدول الاستعمارية الخمس مع فورستر بشأن حل سلمى لقضية ناميبيا ؟

ـ فى أواخر الخمسينات ، عندما جرى تشكيل المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا أخذنا ننظم اضرابات ومظاهرات وأعمال مقاطعة وغير ذلك • وحاولنا أن نناشد بالتفكير السليم لدى ظالمينا من جنوب افريقيا فى محاولة لنقل السلطة سلميا الى شعبنا • ولكن جهودنا السلمية كانت عديمة الجدوى ، بل ووجهت بقوة السلاح • فقد نظمنا مثلا ، فى عام ١٩٥٩ ، حملة المقاطعة والاضرابات احتجاجا على نقل الافارقة بالقوة من ضاحية قديمة من ضواحى «فيندهوك» الى بلدة جديدة بنيت استنادا السياسة التفرقة العنصرية ، وتفصلها عن مساكن البيض منطقة عازلة تتراوح ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ ياردة • لقد نظمنا مظاهرة سلمية ، ولكن شرطة جنوب افريقيا استخدمت الدبابات ضد المتظاهرين وأطلقت عليهم النار وقتلت اثنى عشر شخصا وجرحت كثيرين • وليس هذا هو المثال الوحيد ولذلك اضطرت المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا الى انشاء منظمة عسكرية بغية تحرير البلاد اذا لم يكن ثمة أمل بحل القضية عن طريق المفاوضات •

والان يدرك الامبرياليون وفورستر أن الشعوب الافريقية وخصوصا شعب ناميبيا مصممة كل التصميم على خوض النضال حتى النصر النهائى • ولذلك تحاول الدول الامبريالية اشاعة البلبلة بين الناس زاعمة انها تؤثر المفاوضات

السلمية لأنها لا تريد سفك الدماء العنصرى فى افريقيا الجنوبية بما فى ذلك ناميبيا • ولكن مما له دلالته ان هذه الدول تحول فى الوقت نفسه دون ان يوقع مجلس الامن عقوبات اقتصادية بحق جنوب افريقيا •

فأية وسائل سلمية لحل المعضلة يمكن أن تكون فى هذه الظروف ؟ صحيح أن الوسائل السلمية موجودة فقد نص عليها ميثاق الامم المتحدة وذلك فى فصله السابع وخصوصا فى البنود ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ من هذا الفصل • بيد أن الدول الامبريالية ذاتها احبطت الامكانات التى توفرها هذه البنود •

وفى رأينا أن الاعمال الدبلوماسية والسياسية ليست سوى أعمال اضافية وتكميلية للعمليات العسكرية ، وأن الشكل الاساسى للنضال من أجل تحرير ناميبيا يجب أن يكون النضال المسلح ، وسنشترك فى الوقت نفسه ، عندما يكون ذلك ممكنا ، فى مختلف اشكال النضال الدبلوماسى والسياسى ، ولهذا السبب بالذات وافقت المنظمة الشعبية لجنوبى غربى افريقيا على أن تجرى الدول الامبريالية الرئيسية محادثات بغية البحث عن حل سلمى لقضية ناميبيا ونحن ايضا نؤيد الحل السلمى • ولكننا نعتقد تحقيقا لذلك أنه من الضرورى قبل كل شىء أن تنسحب من ناميبيا كل قوات الاحتلال التابعة لجنوب أفريقيا •

وسنواصل حتى ذلك الحين النضال المسلح ـ الى جانب النضال السياسى والدبلوماسى ـ فى سبيل عزل نظام حكم جنوب افريقيا العنصرى وتحرير بلادنا •

وما من شك فى أن الاعمال الدبلوماسية والسياسية ضرورية أيضا • فمثلا، لا يجوز لنظام حكم جنوب افريقيا أن يشترك فى عمل الجمعية العامة للامم المتحدة لان اللجنة المعنية لم تعترف بصلاحيته • أما المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا فلها صفة مراقب فى الجلسات الكاملة للجمعية العامة • وهذا يعنى أن نتمكن من الحديث فيها وعرض وجهة نظر شعب ناميبيا المضطهد على الرأى العام العالمى •

وكل هذا مهم بالطبع • ولكن النضال المسلح مايزال هو الشىء الرئيسى • ونحن عازمون تماما على تذليل الصعوبات وتقديم تضحيات اكبر فى سبيل تصفية سيطرة جنوب افريقيا الاستعمارية على بلادنا وتحقيق استقلالها الحقيقى فى ظل الديموقراطية •

● ولكن الصحف الامبريالية تزعم بأن الخطة التى أقرها المؤتمر الدستورى فى فيندهوك والتى رفضتها المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا رفضا قاطعا ، قد تعرضت لتعديلات ايجابية بفضل جهود سفراء الدول الامبريالية آنفة الذكر •

ـ اظن ان تخلى فورستر عن فكرة الحكومة الانتقالية التى اراد أن يفرضها على شعبنا بواسطة المؤتمر الدستورى ليس نتيجة جهود سفراء الدول الامبريالية • ذلك أن فورستر اضطر الى التخلى عن هذه الخطة من جراء اشتداد

النضال التحررى وبسبب المعارضة الثابتة لهذه الخطة داخل البـــــلاد والتى تصدرها مؤيدو المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا وكان المؤتمر بحد ذاته أبعد من أن يحظى بالشعبية فى البلاد ، فحتى زعماء القبائل الذين اشتركوا فيه خافوا من أن شعبهم سيقضى عليهم • وهم الان تحت حماية الشرطة وجيش جنوب افريقيا •

وهكذا ، فان الفضل فى التخلى عن الخطط غير المقبولة لدينا ، يعود الى شعب ناميبيا والى الضمانات التى قدمها • وسيواصل شعب ناميبيا نضـــاله بقيادة المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا حتى يحصل على حـق تصريف شئونه بنفسه • ونحن فى هذا المجال نحظى بتأييد البشرية جمعاء •

● ماذا تقولون عن الانشقاق فى الجماعة البيضاء وبوجـه خاص عن انفصال الجناح الليبرالى برئاسة ديرك ماج ؟

ـ ولكن ماج ليس ليبراليا مطلقا • فقد كان نائبا لمدير ناميبيا من جنـوب افريقيا ، أى أنه كان يمثل الة القمع الفورسترية ، ولكنه لم يستطع تحقيق النتائج التى أراد أن يهديها الى فورستر ـ فلقد أجهضت محاولاته كلها نتيجة النضال الذى تتصدره المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا • ولذلك فقد ماج شعبيته بين البيض وابعدوه من قيادة حزب فورستر القومى الشوفينى الحاكم •• ومن ثم قام بتشكيل ما يسمى بالحزب الجمهورى الذى يتلخص هدفه فى استمالة بعض البيض والأفارقة الرجعيين وخصوصا بعض زعماء القبائل الذين شاركوا فى المؤتمر الدستورى من أمثال كليمنز كابيو وكورنيلوس ندجــوبا وغيرهم من الرجعيين • ويريد ماج أن يوحدهم فى نضال مشترك ضد المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا • ولكنه لا يجد من يؤيده من أبنـــــاء الشعب المضطهد • وهكذا فان حزبه لا يكاد يمثـل احدا ، وطبيعى انه ســيمنى بهزيمة فادحة فى أية انتخابات ديموقراطية حقا •

● كثيرا ما تقول الصحف الامبريالية أن المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا لن تنتصر فى الانتخابات الحـــرة ، اذا أجريت فى ناميبيا ، الا فى منطقة أوفامبولاند الشمالية ، فماهو رأيكم فى ذلك ؟

ـ لا يتضمن هذا الزعم أية كلمة صحيحة • فالجميع يعرفون الان أن المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا تشرف على جنوب ناميبيا كله •

كان من الطبيعى أن نركز جهودنا فى لحظة معينة من الزمن ، وفى المنطقة الشمالية المتاخمة لانجولا ، وكان من الضرورى تعبئة الجماهير • اذ كان من المحتمل أن يحاول نظام حكم جنوب افريقيا انشاء بانتوستان هناك من طراز ترانسكاى لان فورستر اختار المنطقة الشمالية لتكون بمثابة معرض غايته اقناع الامم المتحدة بأن فكرة البانتوستانات يمكن تحقيقها فى ناميبيا أيضا •

ولذلك فقد جعلنا من جزء البلاد الشمالى حلبة اساسية لمكافحة الخطط الخبيثة الهادفة الى تجزئة البلاد على أساس المبدأ العرفى • وكان من نتيجة نضالنا أن رفض الشعب أول وزير رئيس عينه فورستر ليدير أوفامبولاند ، وفى نهاية المطاف صفى ، وذلك لانه كان فى نظر الشعب ممثلا لالة القمع الفورسترية • وليس من قبيل المصادفات أن الحالة الاستثنائية والاحكام العرفية طبقت أول ما طبقت فى اوفامبولاند بالذات ولكنها لم تجد نفعا كذلك•

وتتمتع الان المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا بتأييد الشعب بأسره فى ناميبيا بكاملها • وهذا ما يعرفه الجميع كما يعرف الجميع أيضا أن النضال بقيادة المنظمة الشعبية لجنوبى غرب أفريقيا هو وحده القادر على تحقيق حرية ناميبيا واستقلالها الحقيقى •

● بماذا تعلقون على رغبة جنوب أفريقيا فى الاحتفاظ بميناء ولفيش باى ؟

ـ ان المنظمة الشعبية لجنوب غربى ناميبيا تعتبر ولفيش باى جزءا لا يتجزأ من ناميبيا وقد كان فى سنوات الغزو الاستعمارى جيبا بريطانيا فىافريقيا الجنوبية الغربية التى استولت عليها المانيا • ولكننا لا نعترف ولن نعترف بالاستعمار سواء كان المانيا ام بريطانيا أم بويريا وانما نناضل للتخلص من كل مظاهره ومخلفاته فى أراضينا كافة • ان فورستر حر فى أن يخدع نفسه ونظام حكم الاقلية البيضاء الفاشى بزعمه أن ناميبيا ستظل معلقة على كلابه بسبب ولفيش باى • أما نحن فسنواصل النضال حتى نهايته الظافرة أى حتى تحرير اخر شبر من أرض ناميبيا •

● كيف ترون مستقبل ناميبيا ؟

ـ مهمتنا الاساسية هى الان ازاحة سيطرة جنوب افريقيا الاستعمارية عن بلادنا وتحقيق استقلالها الوطنى ، وهى مهمة تحتل الاولوية • وستتم بعد تنفيذها اعادة تنظيم البلاد اجتماعيا واقتصاديا حتى تصان موارد ناميبيا وتستخدم لما فيه خير الشعب بأسره . وننوى وضع حد نهائى لاستغلال الاحتكارات الأجنبية الاقتصادية لبلادنا ولاستغلال الانسان للانسان . كما ننوى تصفية سيطرة الشركات « القومية « متعددة الجنسية » التابعة للدول الامبريالية التى تستنزف الان دماء الشعب الناميبى . ونحن نناضل من أجل تشكيل حكومة شعبية تستخدم جميع سكان ناميبيا بغض النظر عن اللون والعرق والاصل .

● ما هو تعريفكم للصلة بين حركة التحرر الوطنىوالحركة من اجل التحرر الاجتماعى ؟

ـ ان الرغبة فى تحقيق العدالة الاجتماعية هى أساس النضال فى

سبيل الانعتاق من السيطرة الاجنبية . ومعنى ذلك ان الشعب هو الذى يجب ان يسيطر على وسائل الانتاج من خلال ميكانيزم الدولة، ونحن ننوى اقامة نظام العدالة الاجتماعية على اساس الاشتراكية العلمية . وهذا هو الطريق الوحيد الذى يضمن ، فى رأينا ، تحقيق تحولات اجتماعية تعود بالخير على شعبنا . واعتقد أن هذا يصلح كذلك على جميع البلدان التى تحررت من السيطرة الاستعمارية .

ان الراسمالية اشبه بورم خبيث لايرجى شفاؤه . واذا ما اتيح لها ان تركز نفسها فى ناميبيا ، فلن يتخلص شعبنا ابدا من الشقاء ومن الاستغلال الذى يفرضه عليه الاجانب الذين يظلمونه ويحرمونه من ابسط حقوق الانسان . وفيما اذا لم ترفض الرأسمالية فلا بد ان يبقى شعب ناميبيا عبدا لرأس المال الأجنبى .

● ما رأيكم بشأن المكانة التى ستشغلها ناميبيا المستقلة فى الجبهة العالمية المعادية للامبريالية ؟

ـ ان المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا هى الطليعة القيادية لنضال التحرر الوطنى الذى يخوضه شعب ناميبيا وجزء لا يتجزأ من القوى المعادية للامبريالية فى العالم كله . ونحن نؤيد كل من يناضل على كوكبنا ضد الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية والفاشية .

وسينضم بلدنا الى منظمة الوحدة الافريقية وهذا طبيعى اذ أننا نؤيد ميثاقها ونؤمن بأن أفريقيا لن تستطيع أن تتخلص من المؤامرات الاستعمارية الا اذا كانت موحدة ومتحررة سياسيا ومستقلة اقتصاديا . ولا يمكن أن تكون افريقيا قوية اذا كانت مجزاة كما هو الحال اليوم ، مع الاسف .

ان ناميبيا جزء صغير من افريقيا . ولكن اذا ما عزلت نفسها بعد الاستقلال عن البلدان الاخرى فسيضعها الامبرياليون تحت سيطرتهم باللجوء الى أساليب الارغام والخنق الاقتصادية وسيواصلون استغلالها كما يستغلون بعض البلدان الافريقية المستقلة شكليا التى تخضع تماما لنفوذ الامبرياليين .

وسيكون بلدنا عضوا فى منظمة الامم المتحدة كى يسهم بقسطه المتواضع فى تقدم البشرية ، ان منظمة الأمم المتحدة تلعب دورا هاما فى مكافحة الاستعمار والاستغلال وستواصل الدول التقدمية الاعضاء فى منظمة الامم المتحدة فضح الاستغلال الامبريالى للبلدان الاخرى . وهذا مهم للغاية .

وسنشترك طبعا فى حركة عدم الانحياز التى هى حركة ذات مكانة عالية جدا والتى تساعد البلدان المتحررة على مقاومة الاستغلال الاستعمارى والاستعمارى الجديد .

وهكذا ستكون ناميبيا جزء لا يتجزء من الجبهة العالمية الواسعة المعادية للامبريالية .

● مارأيكم فى اهمية التضامن الاممى مع نضالكم الذى تبديه القوى التقدمية فى العالم ؟

ـ اننا لم نستطع أن نطور نضالنا المسلح لولا المساعدة المادية العملية الملموسة التى تاتى الى شعبنا عن طريق المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا . وما اقصده بالدرجة الاولى تقديم الاسلحة التى يستحيل دونها شن الحرب التحريرية . ونحن نشعر بالامتنان لاصدقائنا ، وقبل كل شىء ، للاتحاد السوفييتى وغيره من البلدان الاشتراكية ، ولمنظمة الوحدة الافريقية والمنظمات الديموقراطية الوطنية والعالمية فى البلدان الرأسمالية كما نشكر بعض حكوماتها « مثل الحكومتين السويدية والنرويجية » التى تمدنا بالادوية والمواد الغذائية والملابس وألخ ..

ونحن نشعر اننا لسنا وحدنا ، وان قوى جبارة تشد أزرنا ، وفى طليعتها البلدان الاشتراكية . ويبعث كل ذلك الثقة فى قلوبنا بأننا سنحرز انتصارا حاسما على العدو فى وقت قريب للغاية . وحينئذ ستكون لدينا دولة تقدمية تشكل جزءا لا يتجزأ من البشرية التقدمية .

●●●

زيمبابوى فى مواجهة التحدى

بقلم: جوشوا نكومو

ان النضال التحريرى فى زيمبابوى يمر بمرحلة متوترة للغاية . ذلك أنه عندما كان ينعقد مؤتمر جنيف الذى فشل فيما بعد ، قلنا بكل وضوح انه اذا كان المؤتمر سيفشل فذلك يعنى خوض الحرب حتى

النهاية . وهـذا موقف طبيعي ينجم عن مجمل تاريخ النضال التحريرى فى بلادنا .

وكلما حاولنا اجراء محادثات مع المستعمرين قامت الأقلية البيضاء بخطوات لتعزيز موقفها تدريجيا فى روديسيا الجنوبية . وقد حدث هـذا حتى قبل ان يعلن سميث « الاستقلال » من طرف واحد ، أى فى سنوات ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ ، ثم فى الخمسينات ، وخصوصا فى أوائل الستينات ، عندما حظروا حزبنا واخذوا يعتقلون قادته ، وترتب علينا ان نقضى سنوات طويلة فى السجون . وفى تلك الحقبة شدد سميث اغتصابه للسلطة فى البلاد لمصلحة الاقلية البيضاء واعلن «الاستقلال».

وبعد اطلاق سراحنا عام ١٩٧٤ حاولنا من جديد ان نجرى مفاوضات ، وقد أقدمنا على ذلك حتى بعد ان عذبنا سميث خلال « سنة ، وابدينا استعدادنا للتفاوض لان اخواننا فى دول المواجهة كانوا يعتقدون ان سميث ، بعد عشر سنوات من الحرب ، أصبح مستعدا لاجراء المحادثات . لقد حاولنا التفاوض بحضور فورستر ، فى قطار يقف على جسر نهر الزامبيزى ، ثم فى سالسبيرى وأخيرا فى جنيف بحضور البريطانيين . ولكنه تبين أن امبريالية الولايات المتحدة كانت وراء تلك المحادثات ، كان وراءها كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة أنذاك ، والذى أراد أن ينقذ سميث وان يجعلنا نساعد سميث فى الحصول على الاعتراف باستقلاله الذى اعلنه من جانب واحد .

اما البريطانيون فقد بدوا عند افتتاح مؤتمر جنيف وكأنهم يتحدثون باللغة التى كنا نتحدث بها ولكنه تبين فيما بعد ان البريطانيين يحاولون ارغامنا على اقتسام السلطة مع سميث . ولذلك اصبح فشل المؤتمر أمرا حتميا . وصرحنا أنذاك ان هذا سيؤدى الى خوض النضال حتى النصر النهائى . وهكذا اقتضى الامر تشديد العمليات المسلحة قبل غيرها ، وهـذا ما نقوم به منذ يناير ١٩٧٧ .

ودعونا شباب بلادنا ، الى المشاركة فى النضال المسلح وقد استجابوا لدعوتنا ، وهم يتوافدون الى صفوفنا بأعداد متزايدة .

ودعونا اصدقاءنا فى العالم الى التعاون معنا والى تزويدنا بالسلاح واستجابت لدعوتنا كالعادة البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى .

أما فيما يخص الدول الامبريالية فما زالت تساعد سميث ، وتتظاهر

بالضيق عندما نقول لها هذه الحقيقة التى يعرفها الجميـــــع . ذلك ان المؤسسات المالية الغربية ، من مصارف وشركات تأمين ، تتعاون على نطـــاق واسع مع فاشى جنوب افريقيا وتساعد ، بالتالى، فاشى روديسيا الجنوبية ومن المعروف ايضا انه توجد اتفاقيات سرية بين شركات بترول غربيـة ونظامى حكم سميث وفورستر يستمر بموجبها تدفق البترول الى نظام حكم سميث عن طريق جنوب افريقيا وذلك بالرغـــم من العقـــوبات الاقتصادية التى أوقعتها الامم المتحدة بحق روديســـيا . وان حـــكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنســا وهولندا تفضل التعامى عن الحقـــائق التى تدل على ان شركات هذه البلدان تصـدر البترول الى سميث . وبالرغم من بيانات الامم المتحدة بتأييـد حركة التحـــــرر الوطنى ما زالت الدول الامبريالية تشد أزر سميث فى الحرب المحتومة بينه وبين شعبنا .

ولذلك فمن الواضح اننا نناضل ليس ضد سميث الصغير فحسب، بل وضد مصالح الدول الامبريالية الجبارة .

ولا يستطيع الامبرياليون البريطانيون ، نظرا لتطور الموقف الحربى فى الوقت الحالى ، ان يقفوا موقف المتفـــرج ، لانه يدركون ان نوايا جـــدية وان ٧٥٪ من أراضى روديسـيا قد تحولت الى ما تسميه اللغة العســكرية ب «مناطق العمليات » ، حيث تدور رحى الحرب ليل نهار . وهذه المناطق لاتضم الارياف وحدها بل وكذلك سالسبرى وبولا فايو وغيرهما من أكبر مدن البلاد .

ويشعر الامبرياليون البريطانيون بأنه لا بد لهم مـــن ان يتـــدخلوا ، اذ يخافون من أن يتغير الوضع لصالحنا تماما . وهم يدركون انه اذا خضــــنا النضال حتى نهـــايته فسنقيم حكومة لشعب زيمبــــابوى ، الأمر الذى لايريدونه . ولذلك تعلن الحكومة البريطانية الان أنها مستعدة لاعطـــــاء زيمبابوى حكومة مستقلة منتجة على أساس مبدأ « صوت واحد للشخص الواحد » فى انتخابات ديموقراطية بعد مرحلة انتقالية تدوم ستة أشـهر . ولكنه ، اذا أمعنا النظر فى اقتراحاتهم تبين انهم يريدون بكل بســـــاطة « اختطاف » استقلالنا لأنهم يعون أننــــا على عتبة انتزاعه . وفى دورهم لو وافقنا على المرحلة الانتقالية التى من شانها ان تمنح بريطانيا سلطـــة مطلقة فى البلاد لمدة ستة اشهر . ولكن يكفيكم ان تمنحوا الامبرياليـين ست دقائق حتى « يختطفوا » منكم كل ما اكتسبتموه . واذا اعطيتموهم ستة أشــهر ، فيمكنكم ان تكونوا على يقين انكم منحتموهم مـــدة كافيــة لتهيئة نتائج أية « انتخابات ديموقراطية » تجرى بعد هذه الاشهر الستة ، حتى تكون لصالحهم .

ان بريطانيا مستعدة الان ـ ولا شك فى ذلك أبدا ـ لانشاء « حكومة سوداء » فى روديسيا ، ولكن ليس حكومه شعبيه وانما مجرد حكومة سوداء !

ان الامبرياليين يفهمون انه من غير الممكن الاحتفاظ بحكومة بيضاء فى بلد تبلغ نسبه السكان السود فيه قرابة ٩٧٪ . وما يريده الامبرياليون هو انشاء حكومه سوداء تستجيب لفكرتهم عن نموذج الحكومةالاستعمارية الجديدة .

منيت الدول الامبريالية فى السنوات الاخيرة بعدد من الهزائم منها هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام وانهيار الامبراطورية الاستعمارية البرتغالية التي كانت حلقة هامة فى نظام استغلال شعوب جنوب القارة الافريقية . وأصبحت الدول الامبريالية تشعر بأنها غير حصينة في افريقيا . ولذلك أخذت تعيد ترتيب القوى وتحاول شن هجوم معاكس بغية أخذ الثأر عن الجولة التى خسروها . وتنوى هذه الدول تشكيل حكومتين من السود فى زيمبابوى وناميبيا على ان تكونا حكومتين من الطراز الامبريالى والاستعمارى الجديد . واذا نجحت فى تشكيل مثل هاتين الحكومتين ستشعر بأنها أصبحت قوة فعلية فى جنوب القارة الافريقية وستشن انطلاقا من راس الجسر هذا حربا انتقامية فى انجولا وموزمبيق وزامبيا وبوتسوانا ، اى ضد كل البلدان المجاورة لـ« قلعة » جنوب افريقيا .

ان القضية التى تواجهنا هى ان الحرب التى تبدو ، ظاهريا ، حربا محلية ، هى فى حقيقة الامر حرب دولية حيث يحظى عدونا بتأييد أكبر الدول الامبريالية .

● تنشر الصحف الامبريالية اشاعات بشأن حدوث انشقاق داخل جبهة زيمبابوى الوطنية ، بين اتحاد شعب زيمبابوى الافريقي واتحاد زيمبابوى الوطني الافريقي وبين نكوموموجابه . فما هو تعليقكم على هذه الاشاعات ؟

ـ أن الصحف ومحطة الاذاعة البريطانية هما اللتان تتصدران هذه الحملة الاستفزازية التى تشنها الصحافة الامبريالية . ففى نظرها لن

توجد أية جبهة وطنية . وقد كانت فى نظرها منشقة حتى قبل شروعنا بالعمل لتوحيد اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى . ذلك ان هذا التوحيد كارثة بالنسبة للامبرياليين اذ يعنى خيبة آمالهم بعد ان كانوا دائما يستغلون الاختلافات فى صفوف شعب زيمبابوى ولما راوا الوحدة تتبدى فى الافق ، أخذوا يثيرون الضجيج حول الانشقاق وذلك قبل توقيعنا على وثيقة الاتفاق .

ويمكننى ان أؤكد لكم ان اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى قد اتفقا على العمل المشترك فى اطار التحالف بين المنظمتين بغية توحيد الجهود المسلحة الهادفة الى اسقاط نظام حكم سميث وتحرر زيمبابوى وتولى السلطة بعد تحقيق الانتصار . ونحن على يقين بأننا سننتصر ، وما هى الا مسألة شهور .

والامبرياليون يعرفون ذلك وهم مستعدون لان يمسكوا بأى شيء وان يلفقوا أى شيء لاقناع العالم بوجود الانشقاق داخل الجبهة الوطنية بين اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى ،وهم يعتبرون احلامهم وحيا الهيا ، ويرون فيما يرى النائم اننى تخاصمت مع موجابه ثم يكتبون فى جرائدهم بحروف كبيرة : «خصام بين نكومو وموجابه» وما هذا الا تصوير المرغوب فيه على انه واقع .

لقد نشرت الصحف الامبريالية فى خريف ١٩٧٧ تصريحا نسبته الى موجابه قال فيه أن نكومو كان قد حضر اجتماع سميث فى أوساكا بكينيث كاونوا ، رئيس زامبيا ، وهذا يعنى ، على ما يزعمون ، الانشقاق فى الجبهة الوطنية . ولكن الامبرياليين يعرفون انهم يلفقون خرافات ، ويعرفون انهم يكذبون .

صحيح اننى كنت فى زامبيا فى وقت اجتماع سميث بالدكتور كاوندا . وهذا ما أتاح فرصة ممتازة لتلفيق خبر حضورى فى هذا الاجتماع . ولكن على دعاة الامبريالية أن يعرفوا اننى لم أتعود على أن اعمل وراء ستار فلو اننى حضرت فى ذلك الاجتماع لقلتها . ذلك اننى عندما اجتمعت بسميث فى سالسبرى ، فعلت ذلك علنا ثم تحدثت عن هذا الاجتماع ولقد اجتمعت به كى استوضح ما اذا كان سميث رجلا عاقلا يمكن ان يتحدث المرء معه . ثم بعد شهرين من المحادثات قلت للعالم انه مجنون واضفت اننى لن ألتقى به الا فى ميدان القتال . وهذا ما يجرى فعلا الآن . ولكن اذا اعتزم سميث على الاستسلام فانا مستعد للاجتماع به كى أقبل استسلامه ولا اكثر من ذلك .

ولذلك فان الذين يحلمون بالانشقاق فى الجبهه الوطنية ، يقعون فى ضلال . انهم يزعمون بان موجابه هو الذى قال هذا . ولكن موجابه اذا

اراد ان يقول لى شيئا فلا داعى له بان يتوجه الى الصحف لاننا ننتمى الى منظمـــة واحدة وهو يقول لى أثناء لقاءاتنا أو فى رســـالة الى كل مايريد ان يقول بصدد الجبهة الوطنية . اما هذه المرة فلم يحدث ذلك وفى الحقيقة يلتقط بعض الناس الاشاعات التى تطلقها الصـــحف الامبريالية ، وفى مقدمتها الصحف البريطانية ، لان هذه الاشاعات ممـا يستطيبونه .

ومن المعروف انى التقيت بعد ذلك بموجابه كما التقينا بصفتنا زعيمين الجبهة الوطنية برؤساء دول المواجهة . فاين هو الخطر الذى يهـــدد الجبهة ؟ ما هو سوى وهم وحلم ولن يتحول هـــذا الحلم الى حقيقـة واقعة لتفرح قلوب الامبرياليين .

● ما هى المرحلة الراهنة لعملية توحيد جيش اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى ؟

ـ ليس هدفنا توحيـــد الجيش فحسب ، بل ونعمـــل من أجل توحيـــد اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى فـى الجبهة الوطنية واضعين نصب أعيننا انشاء حزب سياسى موحـــد . وهناك بعض الاجراءات التى لم تدعها بعد ، ولا سيما فيما يخص البنية التى تصوغها . فقد قلنا بوضوح اننا نســـعى الى انشـــاء حـــزب موحـــد ، منطلقين من التحالف بين المنظمتين . ونحن نسير فى هذه الطريق وســـنعلن فى مستقبل غير بعيد جدا ، كيف تتطور هذه العملية .

● كثيرا ما تحاول الصحف الامبريالية ان تصور نكومو فى تعليقاتها بأنه زعيم أكثر اعتدالا وأكثر ملاءمة للدول الغربية من موجابه ، كما يحاولون تصوير الرئيس كاوندا بانه قائد افريقى معتدل ، خلافا ، مثلا ، لما شيل «اليسارى» . فما رأيكم فى ذلك ؟

ـ كيف ، يا ترى ، يمكن توزيع النعوت ـ «معتدل» «يسارى» ـ فان بلد الرئيس كاوندا يقف بثبات فى وجه نظام حكم سميث . فهل هـــذا هو الاعتدال ؟ ان هذه لغة الامبرياليين . وعلى الجميع أن يحترسوا

حتى لا يقعوا فى شرك هذه المزاعم التى يحاول الامبرياليون بواسطتها أن يصنفوا الناس .

لقد ضحى الرئيس كاوندا باقتصاد بلاده وبارواح ابناء شعبه فى سبيل الدفاع عن حقوق زيمبابوى . فمن ذا يتجرأ على ان يقول انه معتدل ؟! ليس ذلك الا خرافة حقيرة .

وهل تكومو «معتدل» ياترى ؟ لقد قضيت فى السجن ١١ عاما بسبب هذا « الاعتدال » . انه ليبدو شيئا جميلا ، أليس كذلك ؟ فمن ذا يقول اننى يجب ان أكون مقبولا لبعضهم فى الغرب أو فى مكان آخر ؟ وبوجه عام ، من ذا يريد ان يكون مقبولا فى الغرب او ان يحظى باستحسانه؟!

انهم يدعون تقييمى . لكن شعب زيمبابوى هو وحده الذى سيقيمنى واذا كنت قائدا لبلادى فهذا لان شعبى قرر ذلك ، وليس شخص ما خارج بلادى .

● من المعروف أنكم ترفضون الخطة الانجلو ـ أمريكية المذكورة لتسوية قضية زيمبابوى، بيد أن رؤساء دول المواجهة الخمس لم يرفضوها كما لم ترفضها منظمة الامم المتحدة فما هو موقفكم بهذا الشان . ؟

ـ هذا تناقض . فلا يمكن لرؤساء دول المواجهة ان يقبلوا أو ان يرفضوا ما يخص زيمبابوى . مع العلم بان موقفهم واضح : فانهم يؤيدون موقف زيمبابوى . وليس من وظيفتهم ان يقبلوا او ان يرفضوا قرارات تخص شعب زيمبابوى . فهذه وظيفة من وظائف شعب زيمبابوى ، ويمكن لرؤساء دول المواجهة ، شانهم شان أى شخص آخر ، ان يبدوا وجهات نظرهم . اما حق البت فى القضية فلا يعود الا الينا ، الى شعب زيمبابوى. فقد أعربنا بكل بوضوح ، عن موقفنا، فى الوثيقة التى اتخذت فى مابوتو ووقع عليها موجابه وأنا . أما رؤساء دول المواجهة فلم يفعلوا سوى ابداء ارائهم .

وليس من وظائف منظمة الامم المتحدة ان تقبل اولا تقبل ما يرغب فيه شعب زيمبابوى . واشار مجلس الامن بهذه المناسبة بكل وضوح الى ان تعين مبعوث من الامم المتحدة وفقا للخطة الانجلو ـ امريكية لا يعنى البتة ان مجلس الامن يقبل المقترحات الواردة فى هذه الخطة .

وكان مغزى كل هذه الخطوات هو انشاء جهاز « قررنا فى الجبهة الوطنية الا نقبله ولا نرفضه » يتيح بحث البنية الانتقالية المقترحة فى الخطة الانجلو امريكية . قلنا : فليكن هذا الجهاز وسنوضح بواسطته ما اذا كانت نوايا بريطانيا بشان تصفية الحكم الاستعمارى

فى بلادنا جدية ام لا . ولو كان قد تبين انها توافق على اقتراحاتنا بشان البنية الانتقالية لكان ذلك دليلا على انها تتفهم واقع الاوضاع فى روديسيا الجنوبية . ولو كانت بريطانيا قد رفضت ما نعتبره خطة صحيحة لدل هذا على انها تريد تضليل العالم اى ان هذا الجهاز بالذات الذى ارادت هى انشاءه قد فضحها .

● اية مواقع يحتل الان فى البلاد كل من الاسقف موزوريوا والكاهن سيتوله ؟ وهل يتمتعان بشعبية كبيرة فى البلاد كما تؤكد ذلك الصحف الامبريالية ؟

ـ ان الحديث حول شعبية هذه الشخصية او تلك عديم المغزى فى الوقت الحاضر . ذلك ان رحى الحرب تدور فى البلاد ، ونحن لا نتحدث عن الالاعيب السياسية وانما نتحدث عن الحرب . ولشن الحرب لابد من الناس العازمين على التضحية بأرواحهم ، ـ ليس بافكارهم او بمشاعرهم او باحلامهم ـ انما بارواحهم ودمائهم وذلك من اجل تحرير البلاد . ومن المعروف ان الناس لا يضحون بارواحهم من اجل شىء لا يؤمنون به .

ان اقارب الشباب المناضلين فى صفوفنا لن يسمحوا لهم ان يضحوا بأرواحهم من أجل شىء لا يؤمنون به . وسكان بلادنا لن يضحوا بديارهم وارواحهم مساعدين الانصار اذا لم يكونوا يؤمنون بقضيتهم .

وهناك آلاف من الشبان المناضلين الان فى صفوفنا من الذين يضحون بأرواحهم ودمائهم ، ويحظون بالشعبية فى بوتقة النضال . والدليل على ذلك انخراط آلاف جديدة من الشباب فى صفوف الانصار . والدليل على ذلك ايضا

جرأة الناس الذين يساعدونهم على مغادرة البلاد للاستعداد لخوض النضال ويضمنون لهم المأوى والمأكل بعد عودتهم . ويجرى اعتقال مئات من هؤلاء ، ويشنقون ويعدمون رميا بالرصاص على رؤوس الاشهاد جزاءا لتأييدهم للانصار ولكن السكان يستمرون فى تأييد الانصار لانهم يؤمنون بقضيتهم .

تلكم هى الشعبية النضالية !

واذا كان بعضهم يسعون وراء الشعبية فى شوارع سالسبرى حيث يلوح الناس بأيديهم ترحابا بموزوريرا عندما يعود بعد زيارة الولايات المتحدة أو من مكان آخر ، فهذا غير مهم ، وارجو ان نفهموا ذلك ٠

المهم هو عندما يضحى الناس بأرواحهم ، وتلكم هى الشعبية الحقيقية فى ميدان القتال ٠

● كيف تتصورون زيمبابوى المستقلة المقبلة ؟

ـ أتصـــور مجتمعا لشعب زيمبابوى ودولة لشعب زيمبابوى فى العــالم الحديث ٠ اننا شعب ذو ماض ، ذو تقاليد له لغته وثقافته وسيرتكز مستقبلنا على مبادىء شعبنا وتقاليده ٠ ولكننا نعيش فى العالم الحديث وسنستوعب من العالم ، أى من الناس الاخرين ، والدول الاخرى ، مايصلح لشعبنا ٠

ان شعبنا اشتراكى من حيث طبيعته ٠ فهو لايؤمن بأن الارض مثلا يمكن أن تكون ملكا لافراد ٠ ان الارض بطبيعة الحال ملكية عامة للناس ٠ ان الارض وكل مافيها تعود الى الشعب٠وعلىهذا الاساس سنبنى فى زيمبابوىدولتنا المقبلة ٠ ويوجد لاتحاد شعب زيمبابوى الافريقى برنامج هو « مفهوم الحزب الايديولوجى » فسنروج له بين أبناء الشعب وسندعوهم الى اتباعه ٠

● ما رأيكم فى أهمية التضـــامن الأممى مع نضال شعب زيمبابوى ؟

ـ هذه الاهمية كبيرة جدا ٠ اننا نخوض حربا ونحتاج الى تأييد ، نحتاج الى مساعدات فعلية بالاسلحة والذخائر والمعدات الحربية ٠ ونحتاج الى تعاون كل العالم وجميع البلدان ، نحتاج الى أصدقاء داخل البلاد وخارجها ، وذلك بهدف تحقيق الانتصار ٠ ان كل القوى التقدمية مهما كان مكانها ، تناضل ضد الامبريالية وهذا يعنى أنها تناضل ضـــد الشر نفســـه : ضد الفاشية والعنصرية والاستغلال ٠ وأنها تخوض نضالها لان أصحاب هذا الشر يريدون العيش على حساب دماء الاخرين ٠

كان الامبرياليون يريدون دائما اخضاع الناس وامتصاص دمائهم ٠ وهكذا كانوا يمتصون دماء الشعب الروسى قبل ثورة أكتوبر ٠ وأود بهذا الصدد لو أشير الى أهمية ثورة أكتوبر العظمى التى شقت الطريق أمام الشعوب المضطهدة فى العالم أجمع وساعدتها على أن تدرك أنها تستطيع تحقيق الحرية والاستقلال والعمل من أجل الرخاء العام ٠ وفى هذا الاتجاه بالذات يتطور الان النضال فى العالم ٠

ونحن ، اذن ، نناضل ضد الشر نفسه ٠ وهو ذلك الشر الذى كان العالم

يناضل ضده فى سنوات ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، فى الحرب ضد الفاشية التى كانت تسعى الى فرض سيطرتها على العالم • وقد ثار الجنس البشرى كله ضدها • ومن دواعى الاسف أن اليوم ، عندما نواجه العدو نفسه فى جنوب القـارة الافريقية ، تؤيد الدول الغربية فاشى جنوب افريقيا • انها تعمل هذا لانها تحصل منها على أرباح وفوائد وتستغل ثروات أفريقيا الجنوبية • ولكن الفاشية تبقى فاشية على الدوام ، والذين يؤيدونها هم شركاؤها حقا وفعلا •

ولقد قلنا ذلك لممثلى الدول المذكورة ، قلنا لهم : هذا هو العدو نفسـه ، وطبيعته نفسها ، ويمكنكم أن تطلقوا على الاشياء أسماء مختلفة ولكن لايجوز أن تتناسوا بأن المقصود هو الشر نفسه •

● ماهى فى رأيكم أهمية الانفراج الدولى بالنسبة لحـركة التحرير الوطنى ؟

ـ ان الانفراج معناه السلم والتعايش • ولكن التعايش لا يعنى التسليم بالشر ، انما هو يعنى التعايش مع الشر ومكافحته بأساليب أخرى ، غير حربية •

تنتهج البلدان الاشتراكية سياسة الانفراج والتعايش السلمى وهى ماتزال فى الوقت نفسه تساعد تلك القوى التى تناضل ضد الاستغلال والفاشية • وهكذا تناضل البلدان الاشتراكية بالذات ضد هذه الشرور • ولا يعنى الانفراج والتعايش التسليم بالشر ثم استنكاره • ان البلدان الاشـتراكية بانتهاجها سياسة الانفراج والتعايش السلمى تقف فى وجه حروب تخريبية مدمرة حقا ولكنها تؤيد القوى التى تناضل فى مختلف أنحاء ومناطق العالم من أجل القضاء على الشر • ويمكن بالطبع القضاء عليه عن طريق حرب عالمية ، ولكن ذلك يعود بآلام وكوارث فادحة على البشرية جمعاء •

● ماذا يمكنكم أن تقولوا عن العلاقة بين المثل العليا لحركة التحـرر الوطنى والمثل العليـا للحركة الشـيوعية والعمـالية العالمية ؟

ـ ماهى الحركة الشيوعية ؟ ان الدعاية الامبريالية تحاول تشويه سمعتها بكل الوسائل ، وتصويرها بصورة وحش مرعب وغول رهيب • ولكنك اذا أمعنت الفكر فى جوهر هذا المفهوم رأيت أن الشيوعية تعنى كل شىء طيب • انها تعنى أن الناس يعيشون جنبا الى جنب ويعملون معا كاخوة ، ولا يستغلون بعضهم البعض ، وهم يعيشـون فى ظل السلم والانسـجام والوفاق • أما الامبرياليون فيرسمون صورة فظيعة للشيوعية لانهم يخشون الحقيقة الكامنة فى كلمة « الشيوعية » •

ماهى حركة التحرر الوطنى العالمية ؟ اننا لانخوض النضال من أجل النضال

اننا نناضل لكى نحقق لشعبنا مايعمل ويناضل ويستشهد من أجله الشيوعيون .. ان المسألة مسألة ألفاظ ، وهى بالنسبة لنا تدل على المعنى نفسه .

ان هذا يرعب الامبرياليين . فاذا كانت الشيوعية تستهدف تصفية نظامهم الاستغلالى فلابد لهم من أن يصوروا الشيوعية بصورة الشر . وسيظلون على الدوام يخوفون الناس ببعبع « الشـــيوعية العالمية » . واذا ماشرحنا للناس معناها الحقيقى فسيبدأ الناس يتفهمـون الامر . اليكم مثالا واحـدا يدل على كيفية تصوير الشيوعية فى الدعاية الامبريالية . ان شعبى يعرف الاهداف التى تخوض نضالنا من أجلها أى أننا نناضل فى سبيل تقرير المصير والاستقلال واستعادة الشعب لأرضه وفى سبيل حقوق الشعب وكرامة الانسان الخ ... وكذلك فى سبيل تلك « الاشياء الصغيرة » التى لها أهمية كبيرة فىحياة بسطاء الناس : الحقول والمواشى وغيرها . ويعرف أبناء شعبنا أننا نناضل من أجل ذلك بالذات . بيد أن أعداءنا الامبرياليين يتشدقون : « ان نكومو وكل مناضلى حركة تحرير زيمبابوى يستلهمون الشيوعية العالمية . انهم شيوعيون » . ويرد شعبنا على ذلك قائلا : « اذا كان أولئك الرجال الذين يناضلون فى ســـبيل تحقيق أمانينا ، شيوعيون ، فلابد أن يكون الشيوعيون أناسا طيبين ! »

ان مجرد لفظ « الشيوعى » لايعنى كثيرا . فالشئ الرئيسى هو الهـدف الذى يناضل الشيوعيون من أجله . واذا كانوا يناضلون من أجل تحقيق أمانى شعبى فيحق لشعبى أن يقول : « ان الشيوعيون أناس طيبون فهم يطالبون بما نطالب به نحن » .

أما الامبرياليون فلا يفهمون ذلك . انهم لايفهمون أنهم يدعون عن غير قصد منهم ، الى الشيوعية ، الى هذه الايديولوجية ذات الطراز الجديد ، التى تعتمد على النضال من أجل حقوق الانسان .

وأنا أؤمن بالايديولوجية ليس لما فيها من عبارات جميلة بل لما تجلبه للناس فى الواقع .

●

كتاب الشهر



النقاش الدائر حول السياسة الخارجية الامريكية ، أو كما سماه احد المشتركين فى هذا النقاش ، وهو البروفسور رونالد ستوباك ، من جامعة ولاية أوهايو ، اعادة تقييم قواعد ومفاهيم السياسة الخارجية ، هذا النقاش لايزال مستمرا • ويتركز حاليا على مسالة الانفراج والمعركةالدائرة بين المدافعين عنه والمعارضين له ، بين أولئك الذين يدركون انه لا مفر من تعايش النظامين الاجتماعيين المتعارضين ، على الرغم من انهم لا يرحبون بالاشتراكية ، وبين أولئك الذين يرفضون الموافقة على امكانية الحياة فى سلام وأمان مع النظام الاجتماعى الجديد •

ومن الطبيعى أن الخط الفاصل بين هذين المعسكرين ـ وكلاهما ينتميان الى طبقة معينة ـ لا يكون واضحا بصورة دائمة ، وكثيرا ما يبدو اقل وضوحابسبب عملية الانتشار السياسى على كلا الجانبين • بيد أن النزاع قائم ، والاكثر أهمية أنه مع كل لحظة يصبح اكثر حدة عما كان عليه فى الاعوام السابقة •

وقد أصبح الدليل على هذه الحدة متاحا وفى متناول اليد • وعلى المرء فقط أن يتامل ويدرس الصراع السياسى الفعلى الدائر داخل الكونجرس وخارجه على السواء ، وسيل التعليقات فى الصحافة والتليفزيون • والمؤلفات الكثيرة التى تغمر سوق الكتاب الامريكى • ويوجد بين هذه المجموعة الوفيرة من المنشورات ، التى تتباين كثيرا فى نوعيتها وجودتها ، بعض الاعمال الهامة والباعثة على الاهتمام ، ويأتى فى مقدمتها كتاب جورج كينان « سحابة الخطر » •

والمسالة الاولى بالنسبة لهذا الكتاب ، هى انه يعكس بصورة توضيحية مزاج الجناح الليبرالى المعتدل فى الفكر السياسى البورجوازى الامريكى وثانيا ، انه يستعرض استعراضا شاملا العلاقات الدولية ، متعرضا لسلسلة واسعة من المسائل المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة تجاه دول ومناطق كثيرة فى العالم ، وبخاصة الاتحاد السوفييتى • ويحاول أخيرا أن يدلنا على المصالح التى تهم الولايات المتحدة فى تلك المناطق ، ويحدد السياسة التى يعتقد المؤلف انه يتعين اتباعها •

ولكن يتعين أولا تقديم تعريف بالمؤلف ، الذى يستحق تنويها خاصا • لانه ، كفرد ، كان أحد أسباب الاهتمام الواضح بهذا الكتاب •

وقد تولى جورج كينان مؤسس افكار السياسة الخارجية للبورجوازية الامريكية •• واحد الممثلين الرئيسيين للمدرسة التى تعرف باسم « الواقعية السياسية » مناصب مختلفة فى وزارة الخارجية وكان سفيرا فى موسكو وبلغراد واكتسب شهرة كاحد المختصين بالشئون السوفييتية •

ويعمل استاذا فى معهد الدراسات المتطورة فى برستون ومؤسس معهد كينان فى واشنطن لدراسة شئون الاتحاد السوفييتى •

والف كتبا كثيرة ساعدت على تحديد شكل وأسلوب سياسة الولايات المتحدة تجاه الدول الاشتراكية أو على الاقل فسرت تاريخ تلك الخلافات • وكما هى الحال فى الغالب معرجال الدولةوالباحثين الامريكيين مر كينان بتطور مثير اذ انتقل من كونهأحد الملهمين والمهندسين الرئيسيين لمبدأ « الاحتواء » الامريكى الرسمىالمعادى للشيوعية ، الى ناقد لهذا المبدأ •

وهذه لمحة سياسية مختصرة لمؤلف كتاب ترتكز رسالته الرئيسية على ان القوة الدافعة والمحركة لسباق التسلح ذىالخطر الضخم واللانهائى ، والمعقد بدرجة واسعة ربما تلت امكانية التحكم فيه ، ويلحق الدمار بنا جميعا ، سواء بسبب تكاثر الاسلحة النووية أو بصورة عرضية تماما• هذه هى الحالة التى يصفها كينان بانها سحابة خطر عاصفة تهدد العالم •

كيف يفسر كينان ظهور هذه السحابة ؟ ورد الفعل السلبى لبعض الناس تجاه الانفراج ، والتصاعد اللولبى السريع الخطير فى تطوير الاسلحة فى الولايات المتحدة واحياء الصيحة الهستيرية القديمة « الروس قادمون » التى كان الامريكيون انفسهم كثيرا ما يسخرون منها •

وقبل تلخيص آراء كينان فى تلك المسائل يتعين تأكيد أن المؤلف يعتبر العلاقات مع الدول الاشتراكية وخاصة مع الاتحاد السوفييتى ، المشكلة الرئيسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة •
ومن الطبيعى انه يتعين على كينان فى تحليله للعلاقات الامريكية السوفييتية أن يعالج سياسة الانفراج — وعلى الرغم من أنه ينزع للتشكك الى أحد ما فى المصطلح نفسه ويقدم تفسيرا غير طبيعى تماما لاسباب نجاحه فانه يعترف بالفعل بأن « الانفراج » يعنى بالنسبة لاناس كثيرين حدوث تغير عام فى العلاقات السوفييتية — الامريكية ، تحول أساسى عن المأزق الذى كانت تواجهه مما يميز هذه المرحلة من العلاقات عن كل ما كان قائما من قبل •

وعند مناقشته لاسباب الموقف السلبى لبعض دوائر الولايات المتحدة تجاه سياسة الانفراج ، يكتب كينان انها أسباب نفسية فى الاساس نابعة من فشل جزء من الشعب الامريكى فى فهم حقيقة طبيعة الانفراج وهو نوع من خداع النفس وتنويم الذات • لقد عقد الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة اتفاقيات فى مناطق خاصة ومحدودة كما يقول ولكن الاتحاد السوفييتى لم يقدم وعودا فى مناطق اخرى لا تشملها الاتفاقيات المعنية •

الا أن بعض الناس فى أمريكا قرروا أن تلك الاتفاقيات تعنى أن الاتحاد السوفييتى قد تعهد بعدم مساعدة دول أخرى وانه قد وافق كذلك على البدء فى تسيير المجتمع السوفييتى طبقا للمبادىء السائدة فى البلدان الراسمالية •

ويقول كينان أن مثل هذه الانحرافات قد توصلت اليها « مجموعة متباينة ولكنهــا كثيرة العدد وقادرة على احداث ضجة » ٠

من الواضح أن كينان على حق عنـدما يقول ان الاتحــاد السوفييتى فى تشجيعه للسـلام والانفراج وتوقيع الاتفـاقيات مع الولايات المتحدة ، لم يتعهد قط بخفض أو الحد من المساعدة والدعم والتاييد الاممى للشعوب التى تقاتل وتكافح ضد الامبريالية وفى سبيل تحررهم الوطنى والاجتماعى ٠ ومع ذلك يصعب على المـرء أن يتفق مع وصفه للعلاقات السوفييتية الامريكية بأنها « محدودة » ، وبخاصة حينما تتركــز المنــاقشة حول وثيقة مثل المبــادىء الاساسية للعلاقات المتبادلة بين الاتحــاد السوفييتى والولايات المتحــدة ٠ وبالمثل فحتى لو كانت هناك سيكولوجية لجــو الهستيريا المعـادية للسوفييت فى الولايات المتحدة (وكان يوجد لذلك أساس صـلد ، وضعته الامبريالية الامريكية خلال سنوات الحرب الباردة) ٠ فان هــذه الهستيريا كانت تستند على مصالح متماثلة وقوية ٠ ويبين كينان نفسه فى فصول اخرى مـن كتابه القوى السياسية الفعلية التى تحاول أن تسد طريق الانفراج ـ دوائر الاعمـال التواقة الى العقود والارباح ، والعسكريون وغيرهم الذين يتمثل حلمهم البعيد فى أن يشهدوا الاطاحة بالنظــام الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى والنــاس الذين تمثل معاداة الشيوعية ذخيرتهم الســياسية واخيرا زعماء النقابات التى يعمل عمالها فى الصناعات الحربية ٠

وفى نفس الوقت فعندما يقرأ المرء كتاب كينان فانه يستطيع كذلك أن يحدد ليس فقط القوى السياسية بل وحتى نماذج الافكار وهذا هو الاكثر أهمية ، التى تهــدد بدفع السياسة الخارجية الامريكية فى اتجــاه معاكس ، وتحويلها من الطـريق الواقعى وتوجيهها فى طريق مسدود ٠

والان وبعد عدة عقود ، مازالت الطبقـة الحاكمة الامريكية عاجــزة عن حل ثلاث مشكلات أساسية على الاقل : مشكلة سباق التسليح ، ومشكلة التقييم الصحيح لدور وأهمية الولايات المتحدة بالنسبة لبقيـــة العــالم أو بشكل آخر لقيمه ما أصــبح معروفا باسم « السلام الامريكى » والــذى يرتكز ، كما يقول وليم فولبرايت ، عــلى « عجرفة القوة » ، وأخيرا مشكلة تحـديد موقفها من الاشتراكية كنظام اشتراكى ٠

وتلك المشكلات الثلاث جميعــا مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا وثيقا ، ولا أحـد يدهش عندما يجد كينان يعود اليها دائما ويدرسها من جميع الزوايا ٠ انه يبــدأ بتحليل الظروف الداخلية التى يعتقد انها تحــد بصورة خطيرة من قدرة الولايات المتحدة على التصرف بشكل فعــال فى السياسة الخارجية ٠

ويقول كينان ان العامل الرئيسى الـذى يحــد من قدرتها هو التجمع العسكرى الصناعى بميزانيتــه السنوية التى فاقت منذ زمن طويل المائة بليون دولار الى جانب المشتريات من المعدات الحربية التى تبلـغ قيمتهــا اكثر من ٣٠ بليون دولار سنويا والتى يتعين أن نضيف اليها حوالى عشرة بلايين دولار أخرى ، قيمــة مســاعدات ومبيعات الاسلحة للدول الاخرى ٠

وقد أصبحت ميزانية التسلح المتصاعدة باستمرار ، منذ زمن بعيد بمثابة ادمـان اقتصادى قومى مثلما رسمها المؤلف وأصبح لها جذور عميقة فى المجتمع ٠ والنطــاق الهائل لهذه الظاهرة لا يمكن تبريره ٠

ويقول كينان انه لا يمكن تبريره عــلى وجه الخصوص لان ما يسمى بالتهـــديد القادم من الاتحـــاد السوفييتى الــذى يستخدمه مؤيدو سباق التسليح كذريعة لهم ينبع من الخيال وليس من الواقع ٠

ويقول ان أسطورة التهـديد السوفييتى « هى أحد القوالب المرعبة المبنية من تبسيط فعال فيه ، وفهم مبالغ فيه » (ص ١٢٤) وزيادة على ذلك فالرجل الذى يعيش فى الغرب لا يمكنه ان يثق فى المعلومات المتعلقة بالقوة العسكرية السوفييتية التى تصبهـا الصحافة الراسمالية والسياسيون المحافظون فى اذنيه وحتى اذا كان الصحيح ، كما كان يكتب كينان ، ان الولايات المتحدة تتخلف عن الاتحاد السوفييتى فى التسلح ، فسوف يتضح ان السبب فى ذلك يكمن بدرجة أقل فى سرعة وأبعاد الجهد السوفييتى عنه فى

التكلفة المتزايدة بدرجة مجنونة للاسلحة الامريكية نفسها ٠ وليس هناك شك على الاقل بين الخبراء الامريكيين كما يقول المؤلف بصراحة فى ان نفقات التسلح المتصاعدة على الدوام لها نتائج تضخميه قوية ٠

ويضيف كينان مبدأ « أول من يستخدم » باعتباره مبدأ مشينا وغير أخلاقى لدرجة بعيده ٠ والمدافعون عنه منافقون ويتسمون بالقسوة ٠ والذين يتمسكون بمبدأ أول من يستخدم هذه الاسلحة ضد بلدان شرقى اوربا ، كما يكتب ، يبدو أنهم يعتقدون كما لو أن الناس هناك ، الكبار والاطفال والنساء ، وكل هؤلاء الذين يبدى الغرب قلقا كبيرا على حقوقهم ـ اقل ميلا للمعاناة أو الالم عن امثالهم فى العالم الرأسمالى ٠

وفيما يتعلق بالنزعة العدوانية السوفييتية فان الروس ، كما يقول كينان ، لم يواجهوا حربا كحرب فيتنام فى السنوات الاخيرة وهى حقيقة تشهد على ضبط النفس يصعب على الامريكيين ان يدعوه بالنسبة لانفسهم ٠

ويواصل كينان قائلا : انه منذ الحرب الكورية والاتحاد السوفييتى يجد نفسه مواجها بمنشآت دفاعية لامريكا وحلف الاطلنطى احاطت الاتحاد السوفييتى بقواعد للصواريخ فى أوربا الغربية واليونان وتركيا وأوكيناوا وكوريا ومناطق أخرى كثيرة فى العالم ٠ ويشير كينان الى النطاق الواسع للوجود البحرى الامريكى فى كافة المحيطات ٠ ويعيد الى الاذهان أن الولايات المتحدة قد اقرت ولم تلغى أبدا ما يسمى « بقرار الامم المستعبدة » والذى يلقى على عاتق الولايات المتحدة مهمة الاطاحة بالسلطة الشيوعية فى كل مكان سواء فى روسيا أو فى شرق أوربا ٠ وفيما يتعلق بمبيعات الاسلحة الامريكية الى بعض البلدان التى تقع على حدود الاتحاد السوفييتى أو بالقرب منه يفكر كينان فيما يمكن أن يقوله بعض أعضاء الكونجرس اذا ما بدأ الاتحاد السوفييتى يبيع الاسلحة على نطاق شامل ، للمكسيك ، مثلا ٠ ويضيف أنه ينبغى على المرء الا ينسى على الاطلاق القوى الانتقامية فى ألمانيا الغربية ٠ « ولكى نفهم رد فعل الروس علينا أن ننسب اليهم ذاكرة أطول من ذاكرة الصحافة الغربيه » ٠

واذا ما قلبنا التاريخ الحديث وفكرنا فى نطاق المشاكل الداخلية وبخاصة الاقتصادية التى يواجهها الاتحاد السوفييتى ، كما يقول كينان ، فان اية أفكار عن سعى الروس الى السيطرة العالمية ، وهو استخدام لتبرير المطالبة باتخاذ موقف عسكرى وسلبى ومعاد من الاتحاد السوفييتى لا تجد ما يساندها ٠ فالسياسة الخارجية كما يقول كينان ، تبدأ فى الداخل ٠ بيد أن ذلك « درس لم يتعلمه كثير من الناس فى بلادنا الا ببطء »

وفى تحليله للفهم العام الذى تستند عليه السياسة الخارجية للولايات المتحدة مباشرة الى حد ما ، السياسيين الامريكيين الذين لايزالون يحلمون « بعالم أمريكى »٠ عالم يتخذ الولايات المتحدة الامريكية نموذجا له ، وأولئك الذين لايزالون رغم الثقة والوقائع التى أزالت الاوهام فى السنوات الاخيرة ، مقتنعين أن ما هو فى صالح أمريكا ، يصبح صالحا للعالم ٠

وقد لاحظ الصحفى الامريكى لويس برومفيلد ، ذات مرة أنه من السمات المميزة للامريكيين أنهم يقيسون كل شىء اجنبى بالمعايير الامريكية ـ ان معظمهم يعتقدون أنهم يدبرون الامور افضل من أى فرد آخر ، وأنهم أكثر ثراء ، ولذلك فهم أفضل وأقوى من بقية العالم ٠ وعن طريق ترويج « وجهة النظر » تلك بتقديسها للفردية وللقوة الغاشمة لم تقم الدعاية الرأسمالية فحسب بغرس الافكار الامبريالية فى وعى الجماهير ، ولكنها فى نفس الوقت استغلت بشكل سافر ولا حياء فيه هذه « الحقائق » البدائية مثل القوة هى الحق ، وتلاعبت بأفكار ترجع الى أيام الغرب المتوحش ، وأكثرت منها وأفسدتها ، وطبقتها كلية فى العلاقات الدولية ٠

ويدين كينان مثل هذه الاوهام التى وضعت على مستوى السياسة الرسمية « فهؤلاء الامريكيون الذين يعترفون بأنهم يعرفون بكل تأكيد ما يريده الآخرون ٠٠٠٠ من الافضل أن يسألوا أنفسهم ما اذا كانوا

يحاولون بالفعل فرض قيمهم وتقاليدهم وعاداتهم الفكرية الخاصة على شعوب لا تمثل تلك الاشياء بالنسبة لها شيئاصالحا أو ذى فائدة (ص ٤٣) • اذ يحث على الاعتراف بأن هناك قيودا صارمة على نفوذ الولايات المتحدة على مجرى الاحداث العالمية ، ينصح المتحمسين لزعامة امريكية للعالم » باتخاذ موقف اكثر تواضعا (ص ٤) • ويعلق كينان على ذلك قائلا أن الولايات المتحدة يمكنها فقط أن تصبح نموذجا اذا ما قامت أولا بترتيب شئونها في الداخل ، بمعالجة الجريمة والتضخم والبطالة وانتشار الصور والادب الاباحى، واعتماد الصحافة على الاعلانات وغيرها•

ولكى نعطى كينان ما يستحقه ، يمكننا القول بانه قد كتب عن هذه الاشياء قبل ذلك ودعم وجهة نظره بالوثائق • ولا يقلل التكرار من حقيقة الامر ، وليس هناك ما يبعث على الدهشة اذا ما وجدنا كينان يدرس مرة اخرى السياسة الامريكية تجاه البلدان والمناطق المختلفة فى العالم من وجهة نظره فى كتابه الجديد •

وينصح كينان بانه يتعين اعادة قناة بنما الى بنما ، واعادة العلاقات الدبلوماسية مع كوبا ، كما يتعين بصفة عامة ترك امريكا اللاتينية « لحالها » •• ويعتقد كينان أن الولايات المتحدة « ليس لديها اجابات » على مشكلات افريقيا • انها ليست مشكلات امريكية فى الاساس ، لذلك يتعين على الامريكيين أن يتخذوا « موقفا عاقلا وغير متحيز » •

وفى آسيا ، باستثناء اليابان التى يعتبرها المؤلف « حجر الزاوية » فى السياسة الامريكية فى الشرق الاقصى ، لا يوجد للولايات المتحدة « اية مصالح حيوية » (ص ٩٢) بيد أن اكثر الامور خطورة ، كما يكتب كينان « فهو الرأى القائل بانه يتعين علينا توجيه علاقاتنا مع الصين ضد الاتحاد السوفييتى ـ اى ينبغى أن نحاول ، فى كلمات أخرى ، الاستفادة من الصين كاداة لتعزيز مصالحنا ، والحد من مصالح الاتحاد السوفييتى ، فى العلاقات السوفييتية الامريكية • وانني لأجد من الصعوبة القول باننى ارفض بقوة مثل هذه الاراء والاقتراحات » (ص ١٠٦) • ويضيف قائلا انه يوجد ، بطبيعة الحال ، اناس فى الولايات المتحدة لايزالون يحلمون أحلاما غريبة وبالية ، ترجع الى عقود سابقة • لكن اذا كان الامريكيون يريدون حقا تفادى كارثة ، واذا كانوا ينوون حقا ادراك ما يسميه الكاتب الامكانيات البناءة العظيمة للعلاقات السوفييتية الامريكية ، فانه من الافضل لهم العثور على وسائل اخرى أكثر ايجابية وصلابة لتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفييتى بدلا من محاولة استغلال الصين ضده •

والعلاقات السوفييتية الامريكية هى الموضوع الرئيسى لكتاب كينان • ونصيحته هى انه يتعين النظر الى هذه العلاقات كمشكلة سياسية جدية وخطيرة ، لها وجهها العسكرى ، على الرغم من أنه وجه ثانوى •

ان الولايات المتحدة ، كما يقول ، لا يمكن أن تجعل من « الاطاحة بالسلطة السوفييتية هدفا لها » أو (ويبدو ذلك كما لو كان مناقشة ضمنية لمفهومات مستشار الرئيس للامن القومى) « تحقيق تغير جوهرى فى طبيعتها » (ص ٢١٦) • والولايات المتحدة تواجه المهمة الاصعب ، مهمة ايجاد مخرج من متاهة مشاكلها وخلق ظروف فى البلاد يستطيع الامريكيون أن يشعروا فى ظلها بالارتياح • أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفييتى ، فالمهمة ليست تدميره أو تغييره لشىء آخر ، وانما العثور على وسيلة للتعايش جنبا الى جنب معه وللتعامل معه ، مما يؤدى الى تقليل بدلا من زيادة الاخطار التى تواجهنا جميعا •

وهذا القول ، مهما كان تفسيره ، يدين المفهومات الامبريالية الامريكية حول الاطاحة بالنظام الاشتراكى وتقويضه أو « تعريته » • وربما كان ذلك أهم جانب ، ومع ذلك فانه كما سنرى اقل ما نوقش مناقشة جادة فى نقاط كينان • ونجد التناقضات والتحفظات حول هذه المسالة فى كل صفحة من كتابه تقريبا •

فمن ناحية ، يفضل كينان معاملة البلدان الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفييتى ، كمشاركين مخلصين فى الحياة الدولية • وهو يعارض بشدة اية اجراءات تمييزية فى سياسة التجارة الامريكية حيال الاتحاد السوفييتى •

ويمكن تلخيص حججه فيما يلي : ان فكرة كسب امتيازات سياسية من خلال التجارة قائمة على الافتراض بأن الولايات المتحدة لا تحتاج الى التجارة لاسباب اقتصادية أو مالية • بيد أن ذلك ، في رأى كينان ، مفهوم خاطيء تماما • وبالاضافة الى ذلك ، فإن مثل هذا الموقف ربما يعنى أن الولايات المتحدة باتجارها مع الاتحاد السوفييتي انما تقوم بعمل نبيل ، لابد وأن يدفع الطرف الاخر مقابله أسعار (السوق) الجارية بالاضافةالى ثمن سياسى • ويصف كينان هذا الموقف من المسألة بأنه غير عاقل ، وعلى أية حال ، غير عملى •

انه يرفض كذلك فكرة أخرى تروج لها شخصيات هامة في حكومة الرئيس الحالية ـ المساندة الواسعة لما يسمى بالمنشقين واستخدامهم • ويقول انه في الولايات المتحدة يسمع المرء أحيانا نداءات لجعل « معاملة المنشقين حجر الاساس في العلاقات السوفييتية الامريكية، حتى ولو أدى ذلك الى الاضرار بالتقدم في المجالات الاخرى للعلاقة » (ص ٢١٤) • ولكن بالنسبة للاتحاد السوفييتي ، كما يقول كينان « فربما لا تمثل هذه المسألة مشكلة كما جعلتنا الصحافة الامريكية نعتقد » (ص ١٨٤) • وثانيا ، فكثير من هؤلاء المنشقين « غالبا ما يكونون مجرد أطفال حينما يتعلق الأمر بفهم العلاقات الدولية » (ص ٢٢٦) • وثالثا ، انه لمن المؤلم ، كما يقول كينان ، أن نرىشخصيات بارزة وذات نفوذ في الكونجرس تجلس في خشوع عند اقدام منشقين قادمين الينا لا تهمهم كثيرا مصالح الولايات المتحدة أو حتى مصلحة السلام في العالم • وباختصار ، فانه يخلص الى أن مساندة المنشقين تشكل عقبة في تناول مسألة اقامة علاقات سوية مع الاتحاد السوفييتي (ص ٢١٨) •

وعندما يقرأ المرء هذه الاقوال لكينان لا يمكنه الا أن يشعر أن العديد منها يعالج الامور بصراحة • والادهى من ذلك ، أن تجد في صفحات أخرى أقوالا تتناقض مع ما سبق عرضه • فعند مناقشة المنشقين ، مثلا ، يعلن كينان أنه طالما استمرت في الوجود الظروف « التى تذكرنا بها يوميا أجهزة الصحافة الاجنبية في موسكو » (؟!) •• ينبغي أن تكون هناك حدود لا تتخطاها العلاقات الامريكية السوفييتية (؟!) •

وبنفس الطريقة ، ففى الوقت الذى يدين فيه مبدأ سباق التسلح ، يعلن كينان أن قوات حلف الاطلنطى الموزعة في أوربا تلعب دورا يساعد على الاستقرار • وبالاضافة الى ذلك ، فانه يندفع الى أكثر من ذلك في محاولته التقليل من أهمية الانفراج • وفي تناقض مع المنطق الاول ومع الحقائق التى قدمها بنفسه ، يحاول أن يثبت مواصلة السياسة الخارجية الامريكية السعى الى السلام • وربما أرادنا أن نصدق أن الانفراج لا يتخطى الاهداف المرسومة منذ وقت طويل للسياسة الامريكية باستثناء فترة الحرب الباردة في أوائل الخمسينات • وفي نفس الوقت يحاول متأخرا بعض الشىء أن ينكر دوره في تشكيل السياسة الخارجية الامريكية العدوانية باعلانه أنه شخصيا كان على الدوام معارضا نشطا لمثل هذه السياسة •

ومع ذلك ، فأى شخص مطلع ولو لاقل قدر على تاريخ العلاقات السوفييتية الامريكية يدرك تماما أن كل استراتيجية ما بعد الحرب للسياسة الخارجية للولايات المتحدة كانت ترتبط بالتهديد باستخدام القوة • والى ذلك يمكن للمرء أن يضيف أن كافة مباديء السياسة الخارجية لما بعد الحرب في الولايات المتحدة ، ابتداء من مبدأ « احتواء » الشيوعية و « تحرير » شعوب البلدان الاشتراكية ، الى « رد الفعل المرن » و « بناء الجسور » حتى « حملة حقوق الانسان » الحالية ، كانت تهدف الى تقويض الاشتراكية ، والى « تعرية » النظام الاشتراكى •

اما فيما يتعلق بدور كينان في رسم هذه السياسات فينبغي أن نتذكر أن الذى وضع واحدا من أول مبدأ الحرب الباردة ، وهو مبدأ « الاحتواء » ، لم يكن بالتأكيد دبلوماسيا أو رجل دولة سوفييتى • ان واضعهذا المبدأ هو جورج كينان • ولتبرير هذه السياسة ، حاول كينان أن يلقى اللوم لبدء الحرب الباردة على الاتحاد السوفييتى • وهو اذ يفعل ذلك ، كما يقول لنا المؤرخ الامريكى س• لاش ، يبدأ كتابة تاريخ الحرب الباردة •

وقد أجبر كينان فيما بعد على الاعتراف بفشل هـذا الموقف غير الواقعي • وهو يعترف كذلك ، في الحقيقـة ، بذلك في كتابه ، الذي يضم كثيراً من المناسبات التي يناقش فيها كينان الجديد ضـد كينان القديم •

ومع هذا ، فعنـدما نقرأ « سحابة الخطر » لا يمكننا الا أن نفكر في حقيقةانه لعدة عقود الان كانت بيانات عـديد من رجال الـدولة والشخصيات العـامة الامريكية ، بمـا في ذلك بعض الرؤساء ، غير متطابقة أو متناقضة مع تصرفاتهم •

ولا يدافع كثير من الناس في الولايات المتحدة اليوم عن فكرة « عالم أمريكي » • بيد أنه مايزال هناك بعض الناس والقـوى ذات النفوذ الذين يسترشدون بهذه الفكرة الفجة في علاقاتهم العملية •

واليوم يرفض عدد متزايد من رجـال الاعمال والسياسيين الامريكيين فكـرة الاطاحة بالنظـام الاشتراكي بالوسائل العسكرية أو تقويضه بوسائل أخـرى مختلفة • ومع ذلك فمايزال هنـاك حتى اليوم عدد كبير من الناس ذوى النفوذ في الولايات المتحدة يفـكرون بمنطق رفض الغـرب للاعتراف بالوجـود المتكافيء و « المشروع » للعـالم الاشتراكي بنظامه السياسي الاجتماعي وطريقته الخاصة في الحياة •

ويبرز كتاب كينـان « سحابة الخطر » ، ذلك بما فيه الكفاية • وسواء عن طريقة المصادفة أو عن عمد يكشف المؤلف اعراضا عديدةلهذا المرض القديم المستعصي للمجتمع الامريكي • وليس من المصـادفة ان يتذكر المرء كلمات راع آخـر من رعاة أفكـار السياسة الخارجية الامريكيـة ، وهو البروفسور هـ•ج• مورجنتاو (١) : « اذا ما كان ينبغي على المرء أن يحـدد السياسة الخارجية الامريكية في جملة واحـدة ، يمكنه أن يقول أنهـا عاشت خلال العقد الاخير أو ما يزيد على رأس المال الثقافي الذي تراكم في الاسـابيع الخمسة عشرة الشهيرة في ربيع ١٩٧٤ عنـدما شكلت سـياسة الاحتـواء ، ومبـدأ ترومان ، ومشروع مارشال ، سياسة خارجيةأمريكية جديدة ، وأن هذا الرأسمال قد استنفد الان تقريبا • لقـد أصبحت تلك السياسات بالية ، وكانت الولايات المتحدة عاجزة عن صياغة سياسات جـديدة قادرة عـلى المعالجة الناجحة لمشاكل عصر مختلف » •

كتبت هذه الكلمات منذ تسع سـنوات مضت • وقد تغير الكثير منذ ذلك الوقت • وظهر الانفراج في الحياة الدولية ، ووقعت اتفاقيات هامة • بيد أن الهجـوم على سياسة الانفراج ، والمحاولات العـديدة لفرض تغير حاد في النهج تبين أن الفكرة التي عبر عنها مورجنتاو لم تفقد شيئا من تأثيرها اليوم • والبديل الوحيدهو مواجهة الوقائع السياسية ، وأن نكون واقعيين •

---

(١) هانز ج• مورجنتـاو ، سياسة خارجيـة جديدة للولايات المتحـدة ، نيويورك ، ١٩٦٩ •



● في الفن والثقافة ●

● من عواصم العالم :

زكريا الحجاوى

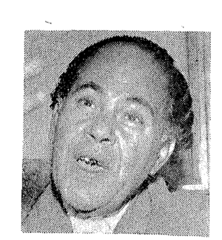
بقلم : أحمد فوزى

منذ مساء يوم ٣١ يناير الماضى ، تلتقى على مسرح السامر ، مجموعة كبيـــرة من الفنانين ، ليحيوا ذكرى عاشقهم ، الفنان والشاعر والاديب الراحل زكريا الحجاوى، فى امسية « عاشق المداحين » ٠

وزكريا الحجاوى ، الفنان الراحـــل المحتفى به ويذكراه ، ابن فـــلاح من ريف مصر ، ولد فى قرية المطرية سنة ١٩١٤ ، وحصل على الشهادة الابتدائيــــــة من بورسعيد ، ثم التحق بمدرسة الفنـــون والصنايع بها ، الى أن انتقلت أسرته الى القاهرة ، وعمل موظفـــا بمجلس مديرية الجيزة عام ١٩٤٦ ٠

وبرزت فى ذلك الوقت اهتماماته الادبية والفنية ، كاديب وطنى وكاتب قصـــــة ، وشاعر ٠ ونشر كثيرا من انتاجه فى بعض الصحف والمجلات ، مثل روزاليوســـــف وصوت الأمة والنداء ومجلة القصة ، ومجلة الغد الشهرية ٠٠ ثم عمل فى جريدة المصرى ثم جريدة الجمهورية ٠ وعمل بالثقـــافة الجماهيرية منذ انشائها سنة ١٩٥٩ ، ومن يومها بدأت رحلاته الطويلة بحثـــا عن الفولكلور والاغانى الشـــعبية المصرية ، وتجميعها ومعرفة أصولها ٠٠

ثم هاجر الى قطر ، بحثـــا عن كنوز الفن الشعبى ، الذى كان شغله الشـــاغل طوال حياته ، وظل يعمل هناك فى تجميـــع الفنون الشـــعبية الى أن توفى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٥ ، ليسدل الستار على حياة أحد الفنانين المصريين الموهوبين الذى أثرى الحياة الفنية فى بلادنا باعمال جيدة ووفيرة كلها من الفولكلور المصرى القديم ٠



الذى جمعه الفنان الراحل ، وقدمه للشعب في صورة أعمال وعروض متكاملة ..

وأمسية « عاشق المداحين » ، التى تقرر عرضها على مسارح الاقاليم اثنـاء شهر ابريل الحالى ، تبدأ كل ليلة بكرنفال شعبى يشترك فيه ١٢٠ فنانا وفنانة ، كان زكريا الحجاوى قد اكتشف عددا كبيرا منهـم وصقل مواهبهم وقدمهم للجمهور فى أعماله، كمنشـدين متخصصين فى اداء الاغانى الشعبية والفولكلورية .. وهو عمـل كان فيه زكريا الحجاوى خبيرا بارزا وفريدا ..

ويبدأ العرض بأن يتقـدم على المسرح أربعة رواة ، يحكون عن بطولة شعب مصر وصلابة الانسان المصرى .. ثم يتقـدم فريق من الفنانين الشعبيين يرقصـون ويغنون بحب مصر وعشقهـا . وبعـدها يتبادل الرواة القاء قطعة شعرية تقول :

كان زكريا الحجاوى صياد

فى بحور النغم المتبحر من وش

الرية الشتوية

فلاح يبطل كانه التاريخ

مفتون بليالى القمر المصرية

ويستمر الرواة فى تحية الفنان الراحل، ويتخلل ذلك مقاطع غنائية ومواويل شعبية من المؤلفات المشهورة لزكريا الحجـاوى ، التى تبرز عشقه وغرامه وحبه لوطنـه مصر ، ثم يبدأ الفنانون تقديم جولتـه فى الحياة من خلال عرض لحياته الفنيـة المثمرة والغنية بالاعمال ، فى مشـاهد درامية متكاملة ، من مسيرة أيوب المصرى، احدى أعمال زكريا الحجاوى البـارزة ، وفيها تردد ناعسة التى ترمز الى مصر :

الصبر لازم يكون قوة يا ناس مش ضعف

الصبر لازم أخلق من مراره دواه

لازم دواه ..

الصبر بسمة نولدها من مرار الدم

وبعدها يبدأ الرواة فى تقديم تعليقات شعرية تبرز صـمود مصر ، ممثلة فى ناعسة ، وهى تبحث عن سعد اليتيم ، وهى احدى الاعمال الشهيرة التى قدمها زكريا الحجاوى فى حياته ، وجزء من الأمسـية التى يقدمها حاليا ، كل ليلة ، مسرح السامر الذى تقرر اطلاق اسمه زكريا الحجـاوى عليه ، وكاحدى المساهمات فى تخليـد ذكراه .. ذكرى فنان عاش يمجد بأشعاره وأعماله الفنية كفاح الشعب المصرى طوال تاريخه .. كما أقيم داخل المسرح معـرض يضم صورا لأعماله .



ويستمر العرض بمواصلة رحلة الفن والصمود من أجل مصر وشعب مصر ·· ومن أجل حياة أفضل وسلام دائم وعادل لملايين العمال والفلاحين الذين ينتجون ويصنعون الحياة والمستقبل ·

ثم يبدأ سعد اليتيم فى ابراز كم كانت مصر تعنى للفنان الراحل ، عندما يقول :

آدى هى مصر اللى كانت لؤلؤة جواه

مصر الحضارة والجسارة والأمل

مصر الشعاع اللى فى وسط الضلمة طل

مصر الحكاية المستحيلة ·· المعجزة

الدرة دايما فوق جبين الوطن ··

أما العرض نفسه ، فقد أخرجه عبد الرحمن الشافعى وكتبه يسرى الجندى ، وربط بين فقراته الشاعر عبد العزيز عبد الظاهر ، ويشترك فيه من بين ابطاله الكثيرين : ابراهيم حنا وفتحية طنطاوى وسيد عبد الهادى ، ومحمد أبو العينين ، الذين يقومون بدور الرواة ، ويقوم بأداء الاغنيات ، خضرة محمد خضر ، احدى المغنيات الشعبيات التى اكتشفها زكريا الحجاوى وصقلها وقدمها فى عروضه ، وجمالات شيحة ، وفاطمة سرحان ، وعزيزة راشد ، وابراهيم حلمى وفاروق عطية ومحمد أبو العينين ·· المداحون الذين يتجمعون مساء كل ليلة على مسرح زكريا الحجاوى لاحياء ذكرى عاشقهم ، الذى أعطى حياته وانتاجه ، له كل الفضل فى احياء التراث الغنائى الشعبى فى بلادنا ·

●



حقيقة أزمة الطاقة

واشنطن

أخيرا تقدم الرئيس الامريكى كارتر ببرنامج للتعجيل بتصوير قطاع الطاقة والوقود فى الولايات المتحدة · والسبب الرئيسى لازمة الطاقة فى دول الغرب ، يكمن فى الولايات المتحدة الامريكية من انتاج الوقود ·

وقد وصف رئيس الولايات المتحدة أزمة الطاقة بانها أكثر المشكلات الاقتصادية تعقيدا ، بل انه أسماها ايضا بالمرادف المعنوى للحزب ·· وقال كارتر : أن الامة سوف تواجه كارثة اقتصادية قبل نهاية القرن الحالى ، ما لم يتم حل مشكلة احتياطى البلاد من الوقود فى المستقبل القريب ·

ونهب المصادر الطبيعية خاصية مميزة للاقتصاد الراسمالى · ففى سعيها لجنى أرباح ضخمة ، تعمل الشركات الاحتكارية طبقا لمبدأ « ومن بعدنا الطوفان » · وهذا يبدو ويتضح تماما فى الموقف من مصادر النفط فى الدول النامية ، اذ تقوم احتكارات النفط فى العالم الراسمالى بدور شرير فى هذا الميدان ، وتاتى الولايات المتحدة فى المقدمة ·

فالولايات المتحدة لديها مستودعات هائلة من الوقود المتنوع · وطبقا لتقارير الهيئات الامريكية المختصة · يوجد لدى الولايات المتحدة حوالى ٥٠٠٠ مليون طن من النفط الذى لم يتم اكتشافه بعد ، هذا بالاضافة الى ما هو معروف من آبار النفط لديها ·

وبتعبير آخر ، تحتوى مصادر النفط الكامنة فى الولايات المتحدة على ما يتراوح بين ٢٠ الف و ٥٠ الف طن وربما أكثر · مما يعنى أن الولايات المتحدة لديها من النفط ما يعادل الكمية التى عثرت عليها فى جميع الدول العربية ، أو يعادل ما لدى العربية السعودية على الاقل ·

ويوجد لدى الولايات المتحدة ايضا حوالى ٣٠٠ ألف طن من النفط فى باطن صخور الارض ، وهو ما يبلغ خمسة اضعاف مصادر النفط المعروفة لدى العالم الثالث ·

واخيرا ، فان احتياطى الولايات المتحدة

طن ، مما يفوق مصادر النفط لدى العالم من الفحم ، يبلغ حوالى ١٣٥ ألف مليون الثالث بنسبة ٥٠ ٪ ٠

وعلى الرغم من هذا كله ، فان الاحتكاريين الامريكيين يواصلون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نهب مصادر النفط فى الدول النامية ، بشراهة وجشع لا مثيل لهما من قبل ٠

وفيما بين ١٩٥٠ و١٩٧٦ قامت الشركات الاحتكارية الامريكية باستخراج اكثر من ٣٠٠٠ مليون طن من النفط من الدول النامية ــ مما يزيد تقريبا عشر مرات عن متوسط الاستهلاك السنوى للنفط فى الولايات المتحدة اثناء فترة ما بعد الحرب ٠ وكل هذا على الرغم من حقيقة ان أمريكا لديها مصادر نفط هائلة فى باطن أرضها ٠

●● فلماذا بدأت الشركات الاحتكارية الامريكية تتطفل على نفط العالم الثالث ، « متجاهلة » مصادر الطاقة الخاصة بها ؟ ٠٠

●● ولماذا اندلعت ازمة الطاقة فى الولايات المتحدة ، وازدادت حدة ، على الرغم من انها تملك مخزونا ضخما من الوقود ٠

ان نفط الشعوب الاخرى مثيرا اغراءات كبيرة لدى الرأسمالية الامريكية ، لان تكاليف استخراج النفط فى الخارج أقل من تكاليفة فى امريكا ٠

ففى الدول العربية وبعض الدول النامية ٠٠ تكمن كميات هائلة من النفط فى آبار قريبة نسبيا من سطح الارض ، وتتدفق من تلقاء نفسها هناك ٠ وفى تلك الدول ، تتراوح تكاليفها من دولار الى أربعة دولارات للطن الواحد ، وفى الولايات المتحدة كانت التكاليف ، فى العقود القليلة الماضية اعلى بخمس أو عشر مرات عنها فى الآبار الكبيرة ٠ وهذا هو السبب الذى من اجله تفضل شركات النفط الاحتكارية الامريكية مضاعفة توسعات الاستعمار الجديد فى الدول النامية للحصول على أرباح ضخمة بنفقات اقل ٠

وقد حققت شركات النفط الاحتكارية الامريكية ، ارباحا خرافية تصل الى عشرة بلايين دولار ، عن طريق استخراج النفط من الدول النامية بدولار واحد أو اربعة دولارات لكل طن ، وبيعه فى الولايات المتحدة بعشرين دولار أو ٢٥ دولار للطن الواحد ٠ والمستعمرون الجدد واثقون تماما أن هذا « النظام » قد تأسس وتدعم منذ زمن طويل حتى أنهم عملوا على زيادة استخراج النفط فى الدول الاخرى ووجهوا ارباحهم الى جميع انواع فروع اخرى الاستغلال باستثناء مجال التطوير السريع لقطاع النفط فى الولايات المتحدة ٠

وقد أصبح ذلك الخطأ فى الحساب والتقدير الذى وقعت فيه الشركات الاحتكارية واضحا تماما فى أوائل السبعينات ، عندما بدأت الدول النامية تأمم امتيازات استثمار آبار النفط التى كانت تخص الاستعماريون الجدد ، ومن ثم وضعت نهاية للنهب المتعذر ضبطه والتحكم فيه ، لثرواتها المعدنية ، الذى كان من الممكن ان يرهق مصادر نفط العالم الثالث طوال حياة جيل بأكمله ٠

وقد أدت امكانية الحصول على النفط رخيص الى ابطاء شديد لعمليات البحث عن وسائل جديدة للكشف عن مصادر النفط التى توجد فى الغرب وتطويرها ، وكذلك ابطاء الدراسات العلمية والتقنية المتعلقة بالتوصل الى وسائل جديدة للانتفاع بالفحم دون الاضرار بالبيئة ٠ وابطاء البحوث من اجل الوصول الى وسائل تقنية جديدة لاستخراج الوقود السائل من زيت الصخور ، وغيرها ٠

وقد غيرت الدول النامية الان من أسعار بترولها بصورة تتناسب مع مصالحها القومية وارتفعت أسعار البترول نتيجة لذلك حتى وصلت الى سعر يتراوح ما بين ١٣ ــ ١٥ دولار ، و ٨٠ ــ ٩٠ دولار للطن الواحد ٠ وقد ضمن هذا للدول المالكة للبترول الحصول على نصيب اكبر من الارباح الصافية التى كانت تنهبهما احتكارات البترول الامريكية والغربية من قبل ٠

●●●

استراتيجية تصعيد التسليح

في مجال سياستها الخارجية تضاعف حكومة الولايات المتحدة جهودها من اجل الدعم العسكرى والسياسى لحلف الاطلنطى ‥ وفي نفس الوقت تسعى واشنطن الى تعزيز قدرات الولايات المتحدة العسكرية فى الشرق الاقصى وجنوب شرقى آسيا ·

وهـــذا ما أكده وزير الدفاع الامريكى هارولد براون فى خطابه أمام مؤتمـــر مجلس المشاكل العالمية فى لوس أنجلوس : « اننا نمثل وسنظل القوة الرئيسيـــة فى المحيـــط الهادى » هـــذا ما قاله رئيس البنتاجون · ولا يمكن أن يكون الامر غيـــر ذلك · اذ لا يمكننـــا أن نكون أقوياى فى أوربا وضعفاء فى آسيا ، اذ أن قوتنـــا فى آسيا تساهم فى قوتنـــا فى أوربا ، والعكس بالعكس » ·

وقال هارولـــد براون أن استراتيجية الولايات المتحدة الحالية فى المحيطالهادى تشـــمل العناصر التـــالية : تدعيم قوة الصواريخ النووية الاستراتيجية ، وزيادة شـــحنات الاسلحة لكوريا الجنوبيـــة ، ومضاعفة الجهود لمشاركة اليـــابان فى الجهد العسكرى الامريكى فى شرقوجنوب شرقى آسيا ، وخاصة كوريا الجنوبية ·

وقال رئيس البنتاجون فى لوسانجلوس أن برنامج تدعيم قوة الولايات المتحدة فى المحيط الهادى يهدف الى زيادة عدد أنواع جـــديدة من الاسلحة ، مثل الغواصـــات الذرية التى تحمـــل صواريخ ترايدنت ، وتوفير صواريخ كروز للقاذفات ب ــ ٥٢ ، وتحـــديث وتعزيز الاسطول الســـابع الامريكى ، بما فى ذلك قوة غطائه الجوى·

وكما يتوقع ، فان الضجة حول سـحب القوات الامريكية من كوريا الجنوبية انما تمثل اعادة توزيع للادوار بين واشـــنطن وسيول · فسوف تزيد الولايات المتحدة من حجم سلاحها الجوى فى كوريا الجنوبية ، بينما تعزز سيول من قواتها البرية·وسوف ترسل الولايات المتحدة ١٢ مقاتلة أخـرى ف ــ ٤ الى كوريا الجنوبية خلال الشهور القادمة ويناقش الكونجرس حاليا « برنامج معونة » يبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار لتعـزيز ماكينة الحرب فى كوريا الجنوبية ·

تزايد صادرات السلاح

وصفت « لوماتان » صحيفة الاشتراكيين الفرنسيين ، الدول الرأسمالية الموردة للسلاح ، وبخاصة الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا وألمانيا الغربية ، بأنها « تجار الموت » • وقد باعت الولايات المتحدة في العام الماضي اسلحة بمبالغ قياسية بلغت ١١٫٠٠٠ مليون دولار • ووصلت فرنسا كذلك الى مستوى قياسي في مبيعات الاسلحة • واذا كان هذا البلد قد باع عام ١٩٧٦ بما قيمته ١٨٫٠٠٠ مليون فرنك من الاسلحة ، فقد زادت مبيعات المعدات العسكرية للطيران وحدها عام ١٩٧٧ عن هذا الرقم • واكدت الصحيفة « لقد استنفذت الطلبيات طاقة الصناعة العسكرية الفرنسية عام ١٩٧٧ تماما » •

وتؤكد « لوماتان » أن بيع الاسلحة قد أصبح عاملا هاما في السياسة الخارجية للدول الرأسمالية وخاصة في علاقاتها مع البلدان النامية •

ويحتل نظام فورستر في جمهورية جنوب افريقيا مكانة العميل المفضل لدى « تجار الموت » • وقد منحت الحكومة الفرنسية جمهورية جنوب افريقيا تصريحا بصناعة الطائرات ، والصواريخ ، والطائرات العمودية •

• • •

المصالح النفطية للولايات المتحدة

نشرت صحيفة « واشنطن بوست » أن القوات المسلحة الامريكية سوف تنشيء تشكيلا خاصا متحركا يضم فرقتين من القوات البرية وفرقة من القوات البحرية مجهزة بطائرات خاصة • وسوف يتم نقل هذا التشكيل جوا الى منطقة الخليج العربي « لحماية » موارد النفط اذا ما نشأ « وضع طارىء » هناك • وتم انشاء هذا التشكيل بناء على توجيه من هارولد براون وزير الدفاع الامريكي ، الذي بدأ اخيرا برنامجا واسعا من اجل اقامة وحدات انزال للاغراض الخاصة •

ونوايا واشنطن هذه ، انما تؤكد الطابع الامبريالي لسياسة الولايات المتحدة تجاه البلدان المنتجة للنفط ، وتتفق مع تصريحات سابقة أصدرها المسئولون الامريكيون • والولايات المتحدة اذ تخشى على مصالحها النفطية في الشرق الاوسط تحاول تعزيز مواقعها في الخليج العربي • وفي اواخر العام الماضي ، قال جيمس شلزينجر وزير الطاقة الامريكي أن الولايات المتحدة سوف تتخذ في حالات الضرورة التدابير اللازمة لضمان أمن حقيقي لموارد النفط عن طريق العمل العسكرى الحازم •

وأدى توجيه براون الاخير الى احتجاجات واسعة النطاق من قبل الدوائر الرسمية ودوائر الرأى العام فى البلدان العربية • وقالت صحيفة الرأى العام الكويتية : « ان الولايات المتحدة تستخدم البلدان العربية المنتجة للنفط للحصول على النفط والبترودولارات وليس لديها اية نية للتخلى عن سياسة القوة التى تتبعها • والشعوب العربية تشعر بالقلق ازاء مخططات الامبريالية الخطرة • وهى ترفض بحزم ادعاءاتها بالنسبة لثرواتها الوطنية » • وعلقت صحيفة الجمهورية العراقية قائلة : « ان الولايات المتحدة لم تتخل عن مخططاتها العدوانية • وبالاضافة الى ذلك فان مخططاتها ترتبط ارتباطا وثيقا بالاهداف الامبريالية العالمية كما انها موجهة ضد الامة العربية » •

• • •

اتفاقية روديسيا

تم التوصل الى ما يسمى باتفاقية تسوية داخلية فى سالزبورى بين نظام ايان سميث العنصرى وبين ثلاث زعماء وطنيين منشقين هم موزوروا ، وسيثول ، وشيراو • وهدف الاتفاقية هو « أفرقة » واجهة النظام العنصرى لدرجة ما ، مع ترك جوهره كما هو •

وتنص الاتفاقية على انتخاب برلمان يضم ١٠٠ نائبا مع حجز ٢٨ مقعدا للبيض وضمان حقهم فى الاعتراض على اى قانون او اى تغيير فى نص الدستور دون موافقتهم وعلى الا تمس امتيازات البيض الاقتصادية والسياسية التى ينص عليها الدستور لمدة عشر سنوات • وتنص الاتفاقية على ان ٢٠ من النواب البيض ينتخبهم البيض وحدهم بينما ينتخب كلا من البيض والسود الثمانية نواب الباقين من البيض • وتتضمن « الاتفاقية الداخلية » قائمة من الحقوق والحماية ضد التأميم والاستيلاء على الملكية والارض • وستظل حماية الدول فى ايدى الاجهزة الحالية ، البوليس والقوات المسلحة والسجون القائمة •

وهكذا تدعم اتفاقية سالزبورى أسس نظام سميث العنصرى ، اى الامتيازات الاقتصادية للاقلية البيضاء ، وجوهر ميكانيزم الاضطهاد العنصرى •

والدوائر الحاكمة فى بريطانيا وامريكا التى تحاول فرض مخططاتها للتسوية على شعب زيمبابوى وتحويل روديسيا الى دولة عميلة ، يثيرون الانتقادات المرائية ضد اتفاقية سالزبورى • وكحقيقة فان هذه الدوائر هى التى تؤخر حل المسألة الخاصة بنقل السلطة فى روديسيا الى الاغلبية الافريقية وتسهل بذلك صنع تسوية على مزاج سميث • وما تخشاه بريطانيا والولايات المتحدة هو اندلاع الحرب الاهلية فى روديسيا ، لان الجبهة الوطنية ، باعتبارها الممثل الشرعى الوحيد لشعب

زيمبابوى ، قد اعلنت عن رفض اية اتفاقية لا تتفق مع مصـــالح الشعب ، وتواصل النضـال المسلح ضد النظام العنصرى • وصرح زعماء الجبهة أن الكفــاح المسلح سيستمر حتى يطاح بنظام سميث • وتؤيد دول المواجهة ، موزبيق وتانزانيا وزامبيا وبوتسوانا وانجولا ، الموقفالحازم للجبهـــة الوطنية • وفى مقـــدور شعب زيمبابوى أن يســـتند على الـــدوام الى المساندة الشاملة لمنظمة الوحدة الافريقيـة ولكل القوى التقدمية فى العالم •

• • •

سوابو ومشكلة ناميبيا

المحادثات التى جرت فى نيويورك حـول مستقبل ناميبيا بين الولايات المتحـــدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وكنـــدا انتهت دون نتيجة • وتطوع المشاركون فيها للتوسط بين جنوب افريقيا وبين المنظمـة الشعبية لجنوب غربى افريقيا (سوابو)•

وناميبيا التى تحتلها جنوب افريقيـــا دون وجـه حق ، ينبغى أن تحصـــل على استقلالها • ولا يشك أحد فى ذلك فى هذه الايام • ورغم ذلك فان جنوب افريقيـــا ، استنادا الى القوات المسلحة ، تحـــاول فرض شكل استعمارى جديد « لاستقلال » ناميبيـــا • ولابد أن تؤدى المباحثات مع رؤساء القبائل الخاضعين لجنوب افريقيـا الى قيام حكومة عميلة فى ناميبيا • ومع ذلك فقد رفض شعب ناميبيا ومنظمة سوابو هذا المخطط بحزم •

ورغم ذلك ، ففى نيويورك أراد عنصريو جنوب افريقيا اجبـــار سوابو على قبول انتخـابات تحت سـيطرة جيش أجنبى ، واذا ما رفضت سوابو ، اتخذ هذا الرفض دليلا على « العناد والنزوع للحرب » من جانب ممثلى ناميبيا الحقيقيين » وعـــدم رغبتهم » فى حل المشكلة سلميا •

وانها لمحاولة فاشلة • فالعالم أجمـع يعرف أن سياسة جنوب افريقيا هى التى تخلق العقبات فى وجه تسوية ناميبية حقة• فجنوب افريقيا بتعـــزيزها لقدراتهـــا العسكرية فى ناميبيا المحتلـــة ترمى الى الاحتفاظ بقواتها هناك حتى بعد اعـــلان الاستقلال • وقـــد اوضحت محـــادثات نيويورك من جـــديد أن عنصريى جنوب افريقيـــا لا يريدون أن يدرسوا المطـــالب العادلة للافريقيين بانهاء احتلال ناميبيـــا ومنحها الاستقلال •

وقد صرح س• نوجومو رئيس منظمـــة سوابو أن انسحاب قوات بريتوريا يعتبـر شرطا ضروريا لضمان استقلال ناميبيا • ويلقى هذا الموقف مساندة واسعة من قبـل الرأى العام التقدمى فى جميع انحـــاء العالم • لقد اكدت محـادثات نيويورك أن مشكلة ناميبيا لا يمكن حلها بدون سوابو •

• • •

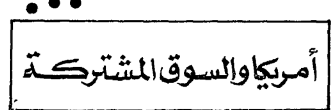
إعادة تنظيم المخابرات الأمريكية

الدعاية الرسمية الامريكية تتحدث فى الفترة الاخيرة عن « اعادة التنظيم الشاملة لاجهزة الامن فى البلاد » • وقد أعلن البيت الابيض اقامة لجنة تنسيق خاصة لمجلس الامن القومى سوف تحدد الخطوط المرشدة لجمع معلومات المخابرات وتنفيذ العمليات السرية ، التى تتخذ ، كقاعدة عامة ، طابعا تخريبيا • وستضم اللجنة التى يترأسها مساعد الرئيس لشـــئون الامن القومى ، وزير الدفاع ووزير الخـــارجية ، ورئيس ورئيس هيئة أركان الحـــرب المشتركة ، ومدير وكالة المخابرات المركزية ، والنائب العام ، ومدير مكتب الادارة والميزانية •

ويبدو من ناحيـــة ، أن اعادة التنظيم الحالية تهدف الى تدعيم رقابة القطـــاع العـــلوى فى سلطة الدولة فى الولايات المتحدة على تنظيمات المخابرات التى نمت بدرجة كبيرة خلال العقد الاخير • ووفقا للصحافة الامريكية ، فانها تنفق أكثر من ١٠٫٠٠٠ مليون دولار فى العام وقد تحولت الى حكومة سرية •

ومن ناحية أخـــرى فان اعادة التنظيم اجراء يهدف الى اصلاح واجهة أجهـــزة المخابرات لحد ما ، والتى ساءت سمعتها نتيجة للفضائح التى جرت خـلال الاعوام الاخيرة • وبهذا المعنى فان الاصـلاح هو مجرد عملية تجميل ، لانه بغض النظر عن تغيير اللافتة ، تظل أهداف أجهزةالمخابرات الامبريالية كما هى • وتقول الصـــحافة الامريكية ان نطاق العمليات التخريبيـــة السرية للمخابرات المركزية فى البلـــدان الاخرى ، أو ما يسمى بالالاعيب القذرة • وسوف يستمر السـماح للمخـــابرات الامريكية باشاعة عـــدم الاستقرار فى الانظمة غير المرغوب فيها فى البلـــدان الاجنبية ، واستخدام الصحفيين والمدرسين والعلماء وغيرهم من قطاعات السكان فى الولايات المتحدة فى عمليات سرية • وقد صرح الادميرال تيرز مدير المخـــابرات المركزية فى حديث له مع مجلة تايم قائلا أن وكالته تعمل فى جمع المعلومات السرية الاقتصادية والسياسية فى اكثر من ١٥٠ بلدا • وسوف تواصل المخابرات المركزية كافة أعمالها القذرة السابقة • فلن يخش أصحاب « العباءة والخنجر » شيئا مهمـا شكلوا لهم من لجان •

• • •



وفجاة ظهرت الخلافات التجـــارية بين السوق المشتركة والولايات المتحدة • فعندما تأسست السوق عام ١٩٥٧ ، وبعـــد ذلك مباشرة ، تميزت التجـــارة بين الولايات

المتحدة ودول السوق الست حينذاك بنحو مطرد . كانت أوربا تقف على قدميها ، وكانت لها مصلحة فى السلع الرخيصة المصنوعة فىأمريكا . ولذلك رفعتالحواجز الجمركية لجذب الولايات المتحدة الى السوق الاوربية .

لكن عندما زادت بلدان غرب أوربا من انتاجها وخفضت من تكاليف الانتاج فانما مركزها قوة فى السوق العالمى ، وفى عام ١٩٧٢ قدرت صادرات البلدان الست الاعضاء فى السوق الى الولايات المتحدة بحوالى ٠٠٠ر٣٢١ر٨ مليون وحدة حسابية بينما وردت الولايات المتحدة لاوربا ٠٠٠ر٥٨٥ر٨ مليون وحدة حسابية . وبهذه الطريقة كان هناك توازن تقريبى فى التجارة بين الولايات المتحدة وشركائها الاوربيين .

وفى محاولة لحماية اقتصادها من هجوم السلع الاجنبية ، بدأت الولايات المتحدة فى زيادةحواجز الحماية ، بتطبيق نظام خاص للتصاريح ، ورفع الرسوم الجمركية فيما يختص بالسلع المعباة .

وقام أوليف جوندلان الدنمركي ، وعضو لجنة السوق المشتركة ، بزيارة الولايات المتحدة .وتحادث مع المسئولين الامريكيين ومع الدوائر التجارية والصناعية بهدف التحضير لالغاء أجراءات الحماية ضد السلع الاوربية . وخرج بانطباع بأن الصادرات الامريكية ستكون عدوانية فى المستقبل القريب وأن أية تنازلات من جانب الولايات المتحدة مستبعدة .

وفى الوقت الحاضر يبلغ العجز التجارى للسوق المشتركة مع الولايات المتحدة ٠٠٠ر١٠ مليون دولار ، والامل محدود فى التغلب على هذا العجز فى القريب .

وفى ١٥ يناير الماضى بدأت فى جنيف المباحثات بين ٩٣ دولة مشتركة فى الاتفاقية العامة حول التعريفات والتجارة. وسوف تنتهى هذا الصيف سلسلة من الاجتماعات الى اتفاقية عامة تنظم التجارة الدولية . وتهدف الاتفاقية الى الغاء حد الاعفاء من الرسوم . ومن المتوقع أن تكون المحادثات معقدة ويتعذر التوصل الى اتفاق خلال الشهور الستة القادمة .

وفى نفس الوقت تتخذ السوق المشتركة تدابير لحماية نفسها . فقد أعلنت اللجنة الاوربية أخيرا عن قرارها بالحد من استيراد بعض أنواع الصلب من بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمانيا الديموقراطية واليابان وكندا وغيرها من البلدان . ويوضح هذا القرار أن السوق المشتركة تريد أن تقوى مركزها فى حربها التجارية مع الولايات المتحدة من خلال القيود التجارية على البلدان الاخرى ، وبخاصة البلدان الاشتراكية . لكن تجربة العلاقات الاقتصادية الدولية قد أوضحت اكثر من مرة أن الاجراءات من جانب واحد تعقد المشاكل بدلا من حلها . فالعلاقات التجارية الدولية تتطلب نظرة دولية .

●

دائـرة المعارف

• ميزان المدفوعات :

ميزان المدفوعات هو العلاقة بين مجموع المبـــالغ التى يدفعها بلد معين خلال فترة محـــددة من الزمن « سنة أو نصف سنة أو ربع سنة أو شــــهر » الى الاشخاص المعنويين والطبيعيين فى الخارج ، وبين مجموع المبالغ التى يحصل عليها ذلك البــــلد من الخارج ٠

وعندما تزيد المبالغ المدفوعة عن المبالغ الواردة يظهر عجز فى ميزان المدفوعات ٠ ولكن كما يستنتج من كلمة « الميزان » فان جوانب الخصم والاضــافة تكون دائما متكافئة ٠ ولذا فعندما يتحدث المرء عن عدم التوازن فى ميزان المدفوعات يكون المقصود أن الفرق بين المبالغ المدفوعة والمبالغ الواردة تتم تغطيته عن طريق ما يسمىبعناصر الموازنة كتغيير احتياطيات النقد والذهب وغير ذلك ٠

واذا واجهت احدى البلاد عجزا فىميزان المدفوعات فان احتياطياتها من الذهب والعملات تتناقص بينما تزداد المطلوبات منها ٠ والعكس صحيح ٠

وتنقسم العناصر التى يتألف منها ميزان المدفوعات الى قسمين : قسم أساسى ، وقسم للموازنة ٠والعناصر الاساسية التى تسجل كل مدفوعات البلد وايراداته هى :

● الميزان التجارى ، أى الصادرات والواردات ٠

● تأجير السفن ودفع مقابل خدمات النقل ٠

● ما يدفع مقابل استخدام وسائل الاتصال ٠

● السياحة ٠

● المصروفات والايرادات الحكومية ، بما فى ذلك الانفاق العسكرى فى الخارج والدخل الناتج عن بيع الاسلحة ٠

● الخدمات التى تقدمها شركات التأمين والبنوك ، باستثناء خدماتها التجارية المعتادة ، والتوكيلات التجارية ... الخ ٠

● فوائد رءوس الاموال المستثمرة فى الخارج ، وبراءات الاختراع ، وحقوق استخدام الاسماء التجارية ٠

وجميع هذه العناصر تشكل جانبا من ميزان المدفوعات الجارى ٠

ويأتى بعد ذلك ميزان المبالغ المدفوعة من جانب واحد ، وتشمل المبالغ التىتدفعها الحكومات والافراد ٠ وتشمل المدفوعات الحكومية أنواعا مختلفة من المعاشات والتأمينات والمنح ومخصصات الدعم ٠ أما المدفوعات الفردية فتتألف أساسا من المبالغ التى يكسبها العاملون فى الخارج ٠

ويتعلق القسم الرئيسى الذى يلى ذلك فى ميزان المدفوعات بالعناصر المتصلة بحركة رأس المالوالقروض ٠ وتشمل هذه العناصر جميع تحركات رءوس الاموال سواء كانت خاصة أم عامة ، وتمثل استثمارا مباشرا أو غير مباشر ، والقروض والتسهيلات المصرفية ... غير أنها لا تشمل المبالغ المدفوعة كفوائد أو أرباح والتى تسجل بوصفها عمليات جارية لميزان المدفوعات ٠

ويعد ميزان المدفوعات من أهم المؤشرات للحالة الاقتصادية والعلاقات الاقتصادية الخارجية لكل بلد ٠ ويدل عجز ميزان المدفوعات على أن النشاط الاقتصادى يتحرك فى اتجاه معاكس لمصالح البلد المعنى ٠ وهو ينشأ عادة فى انخفاض انتاج السلع المعدة للتصدير وزيادة استهلاك السلع المستوردة ٠ ويصاحب ذلك عادة تدفق رأس المال الوطنى والاجنبى الى الخارج اذ لا يكون فى الامكان استخدامه بطريقة مربحة فى البلد المعنى ٠ فاذا كانت المبالغ المدفوعة تزيد على المبالغ الواردة ، يزداد الطلب على العملات الاجنبية ويقل الطلب على العمله المحلية ، مما يؤدى الى انخفاض سعر الصرف للعملة المحلية ، ويؤدى فى بعض الاحيان الى تدفق تلك العملة الى الخارج على نطاق واسع ٠ وقد حدثت حالة كهذه بالنسبة للجنيه الاسترلينى فى عام ١٩٦٧ وبالنسبة للفرنك الفرنسى عام ١٩٦٨ ، وبالنسبة للدولار الامريكى عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٣ ٠

ولمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات ، تلجأ الحكومة البرجوازية الى مجموعة كبيرة من الاجراءات الاقتصادية ٠ فهى تستطيع مثلا عن طريق سياستها المالية والائتمانية أن تقلل من سرعة التنمية الاقتصادية وبذلك تنقص الطلب الداخلى ٠٠ وتلقى مثل هذه الاجراءات عبئا ثقيلا على عاتق الجماهير العاملة ٠

وفى المحاولات التى تبذل لتضييق الثغرة فى مدفوعات التجارة الخارجية تلجأ الدول الراسمالية الى اقامة مختلف اشكال حواجز الحماية « الرسوم الاضافية ، والضرائب على الاستيراد ، والتحديد الكمى للواردات ، الخ » والعمل فى الوقت ذاته لتشجيع زيادةانتاجالسلع التصديرية، وذلك عن طريق منح اعفاءات جمركية للمصدرين ، ودعمالصادرات ، وغير ذلك٠ ويؤدى ذلك بطبيعة الحال الى تناقض المصالح والى نشوب « الحروب التجارية » و « حروب النقد » بين الدول ٠

وأخيرا يمكن للبلد المعنى أن يخفض قيمة عملته ، أى يخفض سعر صرفها بالنسبة للعملات الاخرى ٠ وتكون نتيجة ذلك انخفاض اثمان صادراته فى الاسواق

الخارجية وارتفاع أثمان السلع المستوردة فى السوق المحليه • غير أن تخفيض سعر العملة لا يظهر نتائجه على الفور ولا يكون اجراء فعالا على الدوام •

وليس معنى هذا أن ميزان المدفوعات الايجابى يدل بشكل قاطع على ازدهار الاقتصاد • اذ أن ميزان المدفوعات اذا بقى ايجابيا لفترة طويلة يمكن أن تكون له آثار ضارة على اقتصاد البلد وعلى علاقاته الاقتصادية الخارجية •

اذ أن ميزان المدفوعات الايجابى ونمو احتياطيات الذهب والعملة يؤديان الى ظهور اتجاه مستمر لارتفاع سعر صرف العملة الوطنية • وقد يبدو الموقف طيبا فى الظاهر ، لكن ارتفاع سعر الصرف للعملة الوطنية يؤدى الى زيادة ملموسة فى أسعار صادرات ذلك البلد • كما أن أسعار السلع المستوردة تنخفض بشكل محسوس •• وحتى اذا لم يضطرب الميزان التجارى نتيجة لهذه العلاقة السعرية ، فلا شك أن هذا الوضع سيضر بالقطاعات الاقتصادية التى تنتج سلعا للتصدير • ويمكن أن يؤدى الى اغراق الاسواق بالسلع المستوردة الرخيصة وارتفاع أسعار الصادرات ومن ثم خفض الانتاج وانتشار البطالة •

كما يتأثر اقتصاد البلد تأثيرا «باستيراد التضخم ، وهو ما يمكن تلخيصه فيما يلى : ان تدفق رءوس الاموال الاجنبية على بنوك البلد ذى ميزان المدفوعات الايجابى وصاحب العملة المستقرة ، يلزم البنوك المركزية بشراء العملة الاجنبية التى انخفض سعرها بما لديها من احتياطيات الذهب والعملات وتصدر فى مقابلتها عملة محلية • ويكون من أثر ذلك أن تنزل الى التداول كميات كبيرة من أوراق النقد تزيد على حجم السلع المتاحة فى وقت بعينه ، ومن هنا تنخفض قيمة أوراق النقد • والعملية فى الواقع أكثر تعقيدا مما نصورها هنا بطبيعة الحال • غير أن كمية النقود تزيد على كل حال وبغض النظر عن رغبة الدولة فى ذلك أم عدم رغبتها فيه ، وبغض النظر عن سياستها الاقتصادية الداخلية •

وباختصار ، فان عدم توازن المدفوعات يحدث أثرا سيئا على الاقتصاد وعلى العلاقات الاقتصادية الخارجية ، سواء كان عدم التوازن راجعا الى الزيادة أو العجز • ويؤدى ذلك الى تفاقم التناقضات القائمة بين الدول الامبريالية • وتتوقف جميع المشاكل الاخرى الناتجة عن العلاقات المالية والنقدية الدولية الى حد بعيد على ميزان المدفوعات • ولذا فان مسألة ميزان المدفوعات ـ شأنها شأن مسألة سعر الصرف ـ تبقى موضوعة دائما فى جدول اعمال جميع المؤتمرات السياسية والاقتصادية الرئيسية التى عقدها قادة الدول الرأسمالية المتقدمة •

●

● اشترك فى هــذا العـــــدد :



● ازيكياس بابايانو :

السكرتير العــام ، للحزب التقــدمى للشعب العامل فى قبرص .

● بوريس بونوماريوف :

العضو الاحتيــاطى للمكتب الســياسى وسكرتارية اللجنــة المركزية للحــزب الشيوعى السوفييتى .

● بيتر كوينمان :

السكرتير العــام للحزب الشيوعى فى سرى لانكا .

● ماكس شميدث :

مدير معهـــد الاقتصــاد والسياسة الدولية ، ألمانيا الديموقراطية .

● جوشوا نكومو :

رئيس اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى

● أوليفر تامبو :

رئيس المؤتمــــر الوطنى الافريقى فى جنوب افريقيا .

● سام نوجوما :

رئيس منظمة شعب جنـــــوب غربى افريقيا (سوابو) .

SOCIALIST STUDIES

April 1978

MAIN SUBJECTS

- World changes and the developing countries.
- Anti-commanism in the late seventies.
- International significance of the new constitution of the USSR.
- Capitalism after the 1974 - 75 crisis.
- A Special parton : The southern pivot of the struggle

● ● ●

دراسات اشتراكية

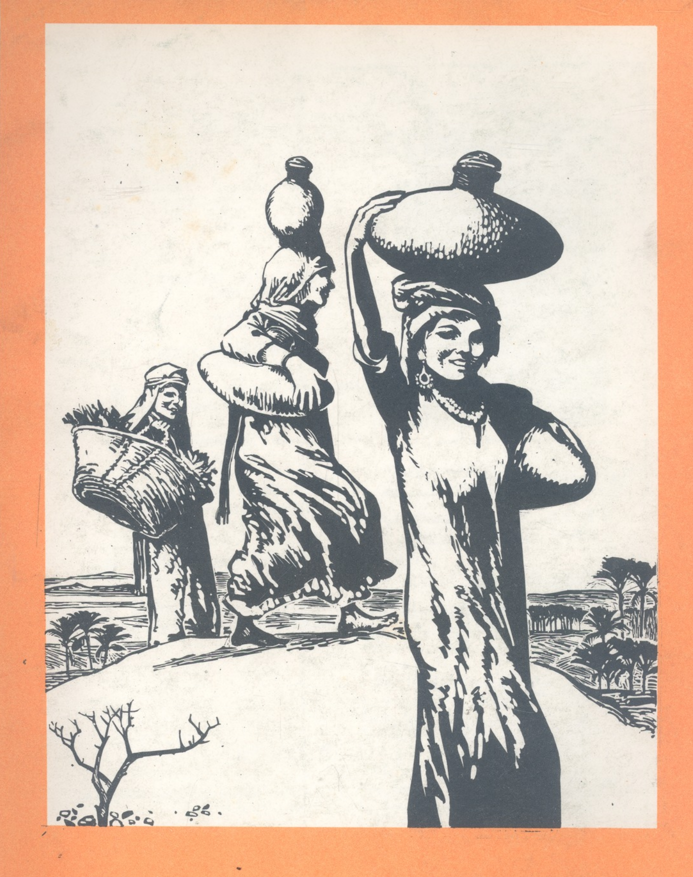
مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السلم والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة :
• أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :
صبرى أبو المجد

رئيس التحرير :
إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ــ عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا · فى الأردن والعراق ١٣٠ فلسا ·
قيمة الاشتراك السنوى : «١٢ عددا» في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربيوالافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر انحاء العالم ، ٥ ونصف دولار أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال · فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية · فى الخارج بتحويل أو شيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ــ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب ·
الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب : القاهرة ·
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



● بنات الواحة . للفنان: هبه عنايت

١٠ قروش